روائع المسرح العالمى

٩

الدائرة

تأليف : سمرست موم

ترجمة : عزيز متى عبد الملك

مراجعة : على فهمى

تقديم : دريني خشبة

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإدارة العامة للثقافة

روائع المسرح العالمى

٩

تأليف : سمرست موم

ترجمة : عزيز متري عبد الملك

مراجعة : على فهمي

تقديم : دريني خشبة

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإدارة العامة للثقافة

تأليف

سمرست موم

ترجمة : عزيز متري عبد الملك

مراجعة : على فهمى

تقديم : د رينى خشبه

THE CIRCLE

by :

SOMERSET MAUGHAM
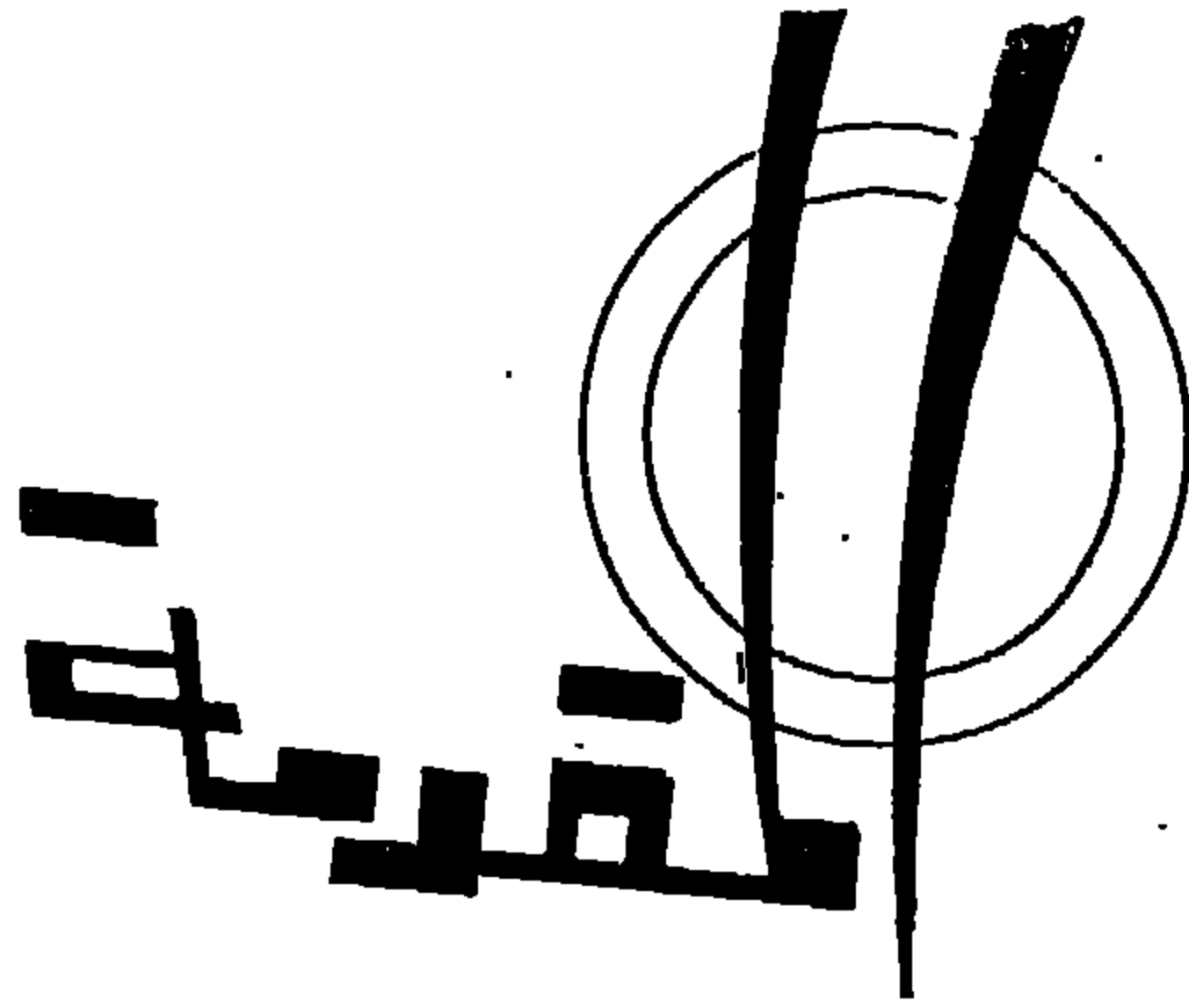
بقلم الأستاذ

دريني خشبه

لكى يعرف القارئ مؤلف هذه المسرحية السير « وليم سومرست موم » — على حقيقته لا بد له من معرفة الحقائق التالية ، التى كان لها أكبر الأثر فى نفسه وفى تطوره الفكرى والاجتماعى :

١ — لا بد له أن يعرف أنه ولد وشب فى باريس (١٨٧٤) . . أى فى بيئة فرنسية متحررة قضى فيها طفولته كلها ، فى ظل والده سكرتير السفارة البريطانية ، هناك . . . يتكلم بلغة غير لغته ، ولا يكاد يتحدث بالإنجليزية إلا فى بيت أبيه . . . ومن هنا تنشأ عقليته على ما تنشأ عليه عقلية الأطفال الباريسيين .

ثم تموت أمه وهو فى الثامنة فيذوق كأس اليتم الأولى . . وتأخذ نظرته إلى الحياة تتبدل تبدلا بطيئاً . . . ثم ينتقل إلى لندن . . ويموت أبوه وهو فى العاشرة ، فيزدرد الكأس المرة الثانية . . . ويكفله عمه الطيب . . العم القس . . الرجل المتدين الذى يتخذ من الدين صناعة لا يعرفها هذا الصبى الباريسى المتحرر ... والذى يعيش الآن فى حى من أفقر أحياء لندن . ويلاحظ عمه القس الطيب هذا فيبتسم . . ويدرك من فوره أن ابن أخيه اليتيم مولود للدنيا لا للدين . . ولا يحزنه هذا ، بل لعله يبتهج به ، فيلحقه بمدرسة كنتربورى الثانوية . . . وهناك يسخر منه أساتذته المدرسون وزملاؤه التلاميذ على السواء . . . فلقد كان يأخذ النمرة النهائية فى اللغة الفرنسية . . بينما يأخذ (صفرا !) فى اللغة الإنجليزية التى لم يكن يجيد حتى التكلم بها .. فما بالك بكتابتها ، والإلمام بمصطلحاتها التى تنيف على نصف مفردات هذه اللغة الشاذة المتعبة .

ولا ييأس موم . . بل يكب على هذه اللغة يقرؤها فى الكتب والروايات ، ويقيد مفرداتها ويرصد شواردها حتى تدين له بعض الشىء . . .

ثم يشير عليه عمه بعد إتمام دراسته الثانوية أن يسافر إلى ألمانيا ، لكى يلتحق بكلية الطب فى جامعة هيدلبرج فلا يمانع موم . . ولعله لا يمانع حتى يفر من لندن . . ومن انجلترا كلها . . انجلترا التى كرهها وراح يسخر منها كما كان يسخر

منه أساتذته وزملاؤه . . انجلترا التى كانت ترزح فى ذلك الوقت تحت نير التقاليد الفكتورية السخيفة . . والتى كان البورجوازيون مسلطين فيها على كل شىء . . . على الحكم . . وعلى التجارة . . . وعلى الصناعة . . وعلى المستعمرات التى لا تغرب عنها الشمس . . وعلى المظاهر السطحية التافهة التى كانت تمسخ عقلية هؤلاء البورجوازيين وتشل تفكيرهم وتفضح تصرفاتهم ، مما تراه جلياً واضحاً فى هذه المسرحية التى نقدم لها .

ويتم موم دراسته الطبية التى لم يكن يشغل باله بها ، كما كان يشغل باله بدراسة الأدب والتفرغ للكتابة ، التى نذر لها نفسه كلها ، ولم ينذر منها شيئاً لممارسة مهنة الطب . . . وها هوذا وهو لما يزل طبيب امتياز يكتب أولى قصصه الرائعة : « ليزا فتاة حى لامبث » . تلك القصة التى أعادت إليه الثقة بنفسه بوصفه كاتباً يجيد الكتابة باللغة الإنجليزية . . ثم هو لا يقنع بهذا . . . إنه يكتب مسرحية أيضاً وهو طبيب امتياز أيضاً بمستشفى لامبث . . وهو يكتبها باللغة الألمانية التى أجادها وبرع فيها وأحبها . . . وتعجب إحدى الفرق الألمانية بالمسرحية فتخرجها وتمثلها على أحد مسارح برلين فيقبل عليها أهل العاصمة ويعجبون بها ، وهم ذوو الإحساس الدقيق المرهف الخبير بفنون المسرح . . وهنا يتأكد موم أنه خلق للأدب . . للكتابة بألوانها من قصة وأقصوصة ومسرحية . .

ولم يخلق للطب . . فينقطع لهذه المهنة الجديدة .
٢ ـ وتهفو نفس موم إلى فرنسا . . إلى باريس الحسناء المتبرجة ، فيرحل إليها بعد أن يضيق بالحياة فى إنجلترا الفكتورية المتزمتة التى تضطرب الحياة فيها بالرياء والنفاق . . ويقضى فى باريس عشر سنوات متتاليات . . ثم يحن إلى الرحلة . . والرحلة إلى أقطار الشرق التى يسمع عنها فتهفو إليها نفسه . . الشرق الذى وصفته قصص ألف ليلة وليلة بما تحفل به من مادية وخيال وسحر ومغامرات . . فيعمل طبيباً على إحدى البواخر الميممة إلى الشرق الأقصى ؛ لكى يستعين بالراتب الذى يتناوله على نفقات الرحلة . . . وهكذا يمر موم بقناة السويس ، ولا ينسى أبداً تلك الرحلة الخالدة التى نقلته عبر البحر الأبيض والبحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندى إلى جزائر الشرق الأقصى حيث السلام وحيث الدعة وحيث الحياة فى أحضان المحيطين العظيمين ، اللذين لم تتلفهما حضارة أوربا الصناعية الاستعمارية بعد . . وحيث الخيال الخصب الذى أملى على مؤلف ألف ليلة ، قصة السندباد . . فيؤخذ الرجل . . ويشعر كأن حياة أخرى قد انفتحت أمامه . . حياة الفن التى تتمثل فى إكبابه على رسم لوحات من هذا الجمال الطبيعى لم يكن أحد يفهمها ولا يقدرها . . ثم حياة الكتابة التى يرسم فيها هذه اللوحات الإنسانية بالقلم والمداد لا بالفرشاة والألوان . . ثم يفضل

آخر الأمر لوحاته المكتوبة فينصرف عن لوحاته المرسومة .

٣ — لكنه لا يلبث أن يسمع صليل الحرب العالمية الأولى يثيرها الساسة الحمقى ، ويشعل نارها صناع الأسلحة ، ويؤجج أوارها الرأسماليون الشرهون . . فيفيق الأديب القصاص من غفوته الوسنانة الحلوة . . ليتسلم أمراً بأنه مجند ، وأنه مدعو للعمل بالمخابرات البريطانية . العمل بالمخابرات ! إنها الجاسوسية إذن ! والجاسوس من ؟ إنه ذلك الأديب الكبير الذى يكاد أن يكون الإنجليزى الوحيد الذى يحمل ضميراً ! إنه وليم سومرست موم ! وعمله هو أن يعمل جاسوساً لأمته التى تظلم العالم كله ، وتنشر فيه الفساد الاستعمارى الموبق . . وذلك بالدس ، وبالخديعة ، وبإقامة عروش الدمى فى مستعمراتها التى افتتحها لها القراصنة وذللها لها العملاء !

لشد ما غثيت نفس موم من هذا الرجس الذى كانت تقوم به إدارة المخابرات !

وينتدب لمهمةفى روسيا فينتهز الفرصة لكى يصل سلسلة رحلاته القديمة،وليزور البلاد العزيقة التى أنجبت جوجول وپوشكين وتولستوى ودستوئفسكى وجوركى . . . ومن إليهم من ملوك القصة وأعلام الأدب الواقعى الذى افتتن به موم . . وليرى بعينيه مقدار الشظف الذى كان يعانيه الشعب الروسى فى زمن كانت تلى الحكم فيه حكومة معظم ذوى

السلطان فيها من رجال المخابرات الذين يعملون لحساب القيصر مباشرة . . . زمن كانت سجون روسيا فيه مكتظة بضحايا لم يكن لهم ذنب إلا الحلم بالحرية ، والتفكر فى حياة أحسن . . ولا يكون جزاؤهم على هذه الأحلام المعسولة إلا الزج بهم فى غياهب السجون ، أو النفى إلى مجاهل سيبريا . . . هذا إذا سلموا من الموت أو الشنق أو الرمى بالرصاص !

وكانت الرحلة زاداً لا يفنى لقلب الأديب النابض . . لقد رأى نفس البلاد التى أمدت أعظم القصاصين فى التاريخ بذخائرهم القصصية الخالدة . . الذخائر الحية التى كانت صوراً ولوحات باكية لحياة أمة بأسرها تشقى وتتعذب وتكدح . . وتعيش بلا أمل !

ويقرأ موم هذا القصص الروسى العظيم كله . . ويضيف ما قرأه منه إلى ما قرأه من مثله من قصص الكتاب الطبيعيين الفرنسيين ، وعلى رأسهم زولا والأخوين دى جونكور وغيرهم من زعماء المذهب الطبيعى فى فرنسا ، وما قرأه من قصص دكنز وفيلدنج وسكوت وهاردى ثم كونراد وستيفنسن بخاصة ، وهما الكاتبان اللذان تأثر بهما موم وتتلمذ عليهما فى فن القصة الوصفية الواقعية ، وراح يقلدهما فى معظم ما كتب .

وشهد فى روسيا أيضاً أطرافاً من المسرحيات الروسية التى كانت تصطبغ فى ذلك الوقت بالصبغة الطبيعية القاتمة . . . ولاحظ ما بين هذه المسرحيات وبين مثيلاتها من المسرحيات

الألمانية الطبيعية من الأواصر ومن صلات النسب ، المسرحيات التي كان يقدمها مسرح الـ (Freie Buehne) الألماني في برلين ، أو المسرح الحر الذي أنشئ على غرار المسرح الحر الفرنسي أو الـ (Théâtre Libre) في باريس ، والذي أنشئ على غراره أيضاً المسرح الحر الانجليزي أو الـ (Free Theatre) في لندن.. والتي أنشئت جميعها لتقديم هذا اللون القاتم من المسرحيات الطبيعية والمسرحيات الواقعية الصارخة في صبغتها الواقعية . . فكان لذلك كله أثر عميق في فن موم وفي فلسفته . . سواء كان ذلك في ميدان القصة أو ميدان المسرحية .

٤ — وإلى هنا تكون الخمائر التي فعلت فعلها في أدب موم قد قاربت حد الاكتمال . . . طفولة وشباب متحرر في باريس . . ثم يتم وغثيان في لندن . . ثم فكر وفلسفة في ألمانيا . . ثم روحانية في « شرق السويس » كما يسمى إحدى مسرحياته ، ثم ثورة الأحرار المعذبين في روسيا . . هذا بالإضافة إلى ما قرأه من آداب تلك الأمم ، وما تأثر به من أساليب كتابها في التفكير وفي التناول . . . ونخص بالذكر من هذه الأساليب الأسلوبين الجارفين ، أو المذهبين الكبيرين اللذين ظهرا في أواخر القرن التاسع عشر . . ألا وهما المذهب الواقعي ، ثم فرعه : المذهب الطبيعي . . . إنهما المذهبان اللذان عاش في ظلهما وليم سومرست موم ، طفلا وصبياً وشاباً ورجلا وكهلا . .

والمذهب الواقعي هو ما يصف الحياة وصفاً دقيقاً تفصيلياً . . بل وصفاً فتوغرافياً في أغلب الأحيان . . . والكاتب الواقعي هو الكاتب الذى هذه طريقته ، غير أنه في الغالب الأعم يكون كاتباً ذا رسالة وله فلسفة ، وهو من أجل هذا يتخذ القصة أو الأقصوصة أو المسرحية – بكل أشكالها – وسيلة لشرح رسالته وتوضيح فلسفته والتبشير بهما بين الناس . . ومن أجل ذلك أيضاً تراه يختبئ وراء شخصياته القصصية أو المسرحية ، ليتكلم بلسانها . . . يسأل ويجيب ويفكر ويفلسف ويحاور ويلاهى ويضحك ويبكي ويمزح ويحبك العقدة ويطرحها ويحلها أو يتركها لك تختار لها الحل الذى يروقك والمخرج الذي يرضيك . . وهو يقنع آخر الأمر بأنك آمنت بفلسفته وتقبلت رسالته ، فإن لم تكن آمنت بهما أو تقبلتهما فإنك قد تأثرت بهما على الأقل ، أو أنك اتخذت منهما موقفاً مضاداً تتولد فيه أفكار جديدة وفلسفات شتى .

فإذا تسامى المذهب الواقعي عن هذه الصبغة الفتوغرافية ، واكتفى من وصف الحياة والأحياء بنقل أروع ما فيهما وتركيزه ، وتجميله بالأخيلة والألوان – مع الفلسفة الخفيفة الهينة اللينة . . كان الكاتب العبقرى حقاً . . فإذا جاوز تلك الحدود إلى الرمز والاستغراق في الفلسفة والتغلغل في أغوار النفس الإنسانية كان الكاتب الذى يبدأ واقعياً ثم يتجاوز

حدود الواقعية إلى مذاهب ومجالات فكرية أخرى ليس هنا موضع الخوض فيها .

أما المذهب الطبيعي ، والذى يخلط كثير من الكتاب بينه وبين المذهب الواقعي ، فهو وإن يكن فرعاً من الواقعية إلا أنه يختلف عنها بما له من مميزات وسمات . . إنه ذلك المذهب الذى يأخذ فيه الكاتب الطبيعي شريحة من الحياة . . أو مقطعاً منها ، ثم يعرضه علينا بكل ما فيه من مظاهر . . وذلك كما يصنع العالم الجيولوجي ، أو عالم طبقات الأرض ، حين يأخذ مقطعاً من مقاطع جبل أو سهل أو صحراء ، ثم يشرع فى تصنيف ما يتركب منه هذا المقطع أو ما تركب منه فى خلال الأجيال والأحقاب . . وهو يصنع هذا فى غير فلسفة أو تحليل أو تعليل . . إنه يعرض علينا ما يتركب منه المقطع عرضاً طبيعياً . . أو كما صنعته الطبيعة . . . ثم يتركنا نفكر لأنفسنا ، ونستنبط ما توحيه إلينا تلك الصور التى رأيناها رأى العين .

ومن أشد الفروق بين الكاتب الواقعي والكاتب الطبيعي أن الأول يتخذ من الإنسانية كلها مجالا لعمله . . . إنه ينظر إلى الإنسانية كلها نظرة إجمالية شاملة . . حتى إذا كان يكتب فى موضوع محلى . . أو موضوع موقوت بزمن مخصوص . . إنه لا يحصر نفسه فى طبقة بعينها من طبقات المجتمع لا يتعداها إلى طبقة غيرها . . وهو لا يؤثر الشواذ يكتب عنهم ويصف

ما يمارسونه من تلك الحياة الشاذة الحيوانية ، التى لا تحفل بالمبادئ أو الشرائع أو القوانين أو الأديان أو التقاليد أو ما تواضع عليه المجتمع من تلك القيود التى يفرضها الذوق العام وآداب اللياقة .

إن الكاتب الواقعى لا يحصر نفسه فى هذا المجال الشاذ الضيق الذى يحصر فيه الكاتب الطبيعى نفسه ، ويقف عليه أدبه وقلمه . . . وبينما نجد الكاتب الواقعى يحمل رسالة وله فلسفة . . وبينما نراه لهذا السبب يفلسف ويحلل ويعلل ويعلق ويبشر بفكرة عامة غالبة فى القصة أو المسرحية التى يكتبها . . وبينما نراه يختبئ وراء شخصياته المختلفة المتنوعة التى منها المتعلم ومنها الجاهل ومنها الفيلسوف ومنها الأمى . . يختبئ وراءهم ليتكلم بألسنتهم ويفكر بعقله هو لا بعقولهم ، بينما يصنع الكاتب الواقعى هذا ، نرى الكاتب الطبيعى أشبه بحامل الكاميرا — أو آلة التصوير التى لا تنقل لك إلا ظاهر ما تقع عليه عدستها نقلا مجرداً من أى تدخل من جانبه . . نقلا صامتاً لا يتغلغل بك إلى ما وراء الصورة . . ومن هنا نرى الكاتب الطبيعى شخصاً مختفياً تمام الاختفاء فى آثاره الأدبية . . إن شخصيته لا يكاد يظهر لها وجود فى تلك الآثار . . إنها شخصية لا تكاد تشعرك برسالة أو فلسفة أو فكرة معينة . . وهو لذلك لا يحلل ولا يعلل ولا يعلق ولا يفلسف ، ولا يختفى تحت ألسنة شخصياته التى يتركها سائبة

سائمة فى بيئتها، تغلب عليها الحياة الغريزية الفطرية الغالبة على الناس فى البيئات الفقيرة الحقيرة ، التى تعصف بها العلل الاجتماعية والأمراض النفسية ، أو البيئة البورجوازية التى مسختها الثروة وغلب عليها الغروز ، وأتاح لها المال أوقات فراغ طويلة لا تدرى كيف تنفقها إلا فى المهاترات والتباهى بالمظاهر الفارغة والغرور الباطل والتمتع بألوان الصبوة والتردى فى غياهب الخيانات الزوجية ، والتكاثر بالأموال والأولاد ودس الدسائس وحبك المؤامرات . . . إلى آخر هذه السلسلة الطويلة من الآفات التى تفشو فى المجتمع الغنى المثرى الذى جاءته الثروة جزافا وفى غير كثير من المشقة ولا طويل من الكدح .

فهذا هو الكاتب الطبيعى وهذا هو مجاله ، وهذه هى طريقته . . إنه يتوخى أكثر ما يتوخى هذه البيئات الممتلئة بالعلل وألوان الشذوذ يعرضها عليك عرضاً لا يتدخل هو فيه إلا نادراً وإلا من بعيد . . وهو لذلك لا يعنى مطلقاً بالحبكة المسرحية ولا برسم عقدة قصته أو مسرحيته . . بل هو لا يعنى بأن تحمل قصته أو مسرحيته فكرة عامة فيها من ألوان الصراع ما يبهرك ويمسك عليك أنفاسك . . . فكرة يحاول هو أن يقيم الدليل على صحتها ، ومن ثمة يبشر بها ويحلل ويعلل . . لا . . . إنه لا يصنع شيئاً من ذلك ، لأن هذا هو ما يعمله الكاتب الواقعى . كاتب الواقع لا كاتب

الطبيعة . . كاتب الواقع الذى تحولت إليه الطبيعة بعد الذى أخضعها له المجتمع من تقاليد وآداب وشرائع ، وأدخله عليها من تعليم وتهذيب وحضارة وفلسفات . . ومن ثمة تبدلت فطرتها وأصبحت شيئاً شديد الاختلاف مما نشأت عليه قبل ذلك كله .

والكاتب الطبيعى من أجل ذلك يكبر من شأن البيئة ومن شأن الوراثة . . أما البيئة فقد رأينا كيف يتخير موضوعاته من ألوان شذوذها ، وإن ابتعد فى تخيره هذا عن الغالبية العظمى من البشر ، غير المصابين بتلك الألوان من الشذوذ والخروج على العرف . وأما الوراثة فالكاتب الطبيعى يؤمن إيماناً جازماً بأن العرق دساس ، وأن الأبناء يولدون وقد ورثوا ميراثاً ثقيلا فادحا عن آبائهم . . ميراثاً أخلاقياً وسلوكياً يوجههم كما كان القدامى يؤمنون بسلطان القضاء والقدر . . والكتاب الطبيعيون يسرفون فى إيمانهم بسلطان الوراثة إسرافاً شديداً . . ولعلهم فى إسرافهم بالإيمان به أشد من القدامى فى إيمانهم بالقضاء والقدر . . إن هذا الإيمان يجعل اليأس يدب إلى قلوبهم ، فهم قانطون من الإصلاح يائسون من العلاج ، لا يرون أملا فى شفاء هؤلاء الضحايا من عللهم الأخلاقية التى ورثوها عن آبائهم ولا ذنب لهم فيها . ولسنا ندرى ماذا يكون مصير هذه الطبقات البائسة الشقية إذا صدقت نظرة هؤلاء الطبيعيين فى سلطان الوراثة ، بل لسنا

ندرى كيف تحضر الإنسان ومارس العلوم والفنون وألوان الثقافات ، وكيف خرج من طور الحيوانية البدائية فارتقى وتهذب ، إن كان سلطان الوراثة هو هذا السلطان الذى يؤمن به الطبيعيون ؟

٥ — بهؤلاء وهؤلاء تأثر موم . . وإن ذهب بعض النقاد أو أكثرهم إلى أن تأثره بالطبيعيين كان أشد . . سواء فى قصصه أو فى مسرحياته .

على أن مما لا شك فيه أن لغير هؤلاء وهؤلاء أثرا عظيم العمق بعيد المدى فى موم . . لقد تأثر فى فرنسا بشيخ كتابها فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . . الكاتب الساخر الأشهر أناتول فرانس . . مؤلف « تاييس » و « الزنابق الحمر » و « ثورة الملائكة » و « الآلهة عطشى » ، و « جريمة سلفستر بونار » و « جزيرة البنجوين » . . إلخ . لقد عاش أناتول طوال حياته يسخر من الناس ويكفر بهم وبأديانهم ويصورهم فى قصصهم منافقين مرائين مخادعين ، يعنون بالمظهر أضعاف ما يعنون بأرواحهم ، ويهتمون بإشباع شهواتهم أضعاف ما يهتمون بمعنوياتهم . . وقد كان موم — الذى يصغر أناتول بثلاثين عاماً — يلتهم قصص الكاتب الفرنسى التهاماً ، ويعيش فيها ويتأثر بها ويؤمن بكل ما يقوله فيها . . . حتى كاد يسير على نفس الدرب الذى شقه أناتول فرانس حينما تفرغ للكتابة . . . وقد نشأ مثله

ساخراً بالناس فى كل مكان ، متشائماً من مستقبلهم ، ولم يجد خيراً من الطبقة البورجوازية — ولا سيما الإنجليز والأمريكيين من أسر هذه الطبقة وأفرادها — يشويها على نار سخريته ويندد بها ويفضحها ، ويفضح الامبراطورية كلها معها ، ويصورهم تافهى الأحلام مرائين منافقين عبيداً لشهواتهم ، يهتمون بألوان كراسى صالوناتهم أضعاف ما يهتمون بتربية أبنائهم أو تلقينهم المثل العليا . . ينفقون أوقاتهم فى سياسة استعباد الشعوب والتقلب فى مناصب الحكم فى المستعمرات التى نكبت بنفوذهم ،ولا يكادون يخصصون من وقتهم ذاك شيئاً للجد من أمور الفكر أو الفن أو القضايا الإنسانية العليا . . إن قسيسهم شر من طرطوف وألعن من بافنوس (بطل تاييس) وسياسيهم رجل مداهن مراء لا هم له إلا النجاح فى الانتخابات ليصل إلى كرسى البرلمان ، ومن كرسى البرلمان إلى كرسى الوزارة ، ومن كرسى الوزارة إلى توزيع الأسلاب والمغانم،ومناصب الحكم فى المستعمرات على الجهلة والأدعياء من أذنابه ومن هتفوا له طويلا فى المعركة الانتخابية .

٦ — وتأثر موم كذلك بالكاتب البولندى القصاص الأشهر «جوزيف كونراد» (١٨٥٦ — ١٩٢٤) . . ذلك الذى لم يكن يعرف الإنجليزية فأكب عليها حتى أتقنها،وأصبح يمارس كتابة قصصه بها بأسلوب حلو جميل،فتن به الإنجليز

أنفسهم . . ولعل هذا هو الذى لفت إلى الكاتب نظر موم . .
موم الذى راح يتعلم الإنجليزية ـ لغة بلده ـ كما تعلمها هذا
الكاتب البولندى الأجنبى . . بل لعل حب موم لكونراد هو
الذى أغراه بالرحلة إلى ما وراء البحار كما ارتحل كونراد . .
وإلى الشرق الأقصى بالذات . . ذلك الشرق الذى كتب
كونراد أبدع قصصه عن أهله وعن بحاره وجزائره . . وقد
جرى وراءه موم خطوة فخطوة . . وقلده فى كثير من هذه
القصص بما تشتمل عليه من أوصاف وفلسفات وسخريات .

٧ ـ وممن تأثر بهم موم أيضاً « روبرت لويس
ستيفنسون » (١٨٥٠ ـ ١٨٩٤) . . ذلك القصاص الآفاق
جواب البحار والفلوات الذى قرأنا ورأينا من قصصه فى
السينما الدكتور چيكل والمستر هايد وجزيرة الكنز وغيرهما . .
لقد كان ستيفنسن مغرماً بالرحلة هو أيضاً ، مولعاً
بالمغامرات البحرية ذات الخطر أو المغامرات الروبنسنكروزية
كما كان يسميها ، نسبة إلى روبنسون كروز بطل قصة ديفو
المشهورة . وإذا كان موم قد هام غراماً بكتاب ألف ليلة
وليلة كما ترجم من العربية ، فقد كان كتاب ستيفنسن
« الليالى العربية الجديدة » من أحب الكتب إلى نفسه كذلك ،
بل لعله هو الذى أوحى إليه بقراءة ألف ليلة وليلة .

٨ ـ وثمة كثيرون ممن تأثر بهم موم . . لكن هؤلاء الذين
ذكرناهم هم الذين ألهموه وعلموه ، وعنهم تلقن خفة الروح

والسهولة واليسر . . كما تلقن عنهم موهبته الكبرى التي يبز
بها كثيرين من كتاب القصة وكتاب المسرحية على السواء . .
أما هذه الموهبة فهي براعته التي لا تفوقها براعة في رسم
الشخصيات . . ثم الإيجاز المانع الجامع القاطع في سوق
الحوادث بتلك الطريقة التي يكتفي فيها بكلمات قلائل تجيء
عرضاً ، فاذا هو قد سرد تلك الحادثة التي ربما استغرقت من
غيره صفحات وصفحات .

٩ — على أن كثيرين من مؤرخي موم لا يضعونه في
مدرسة أدبية بعينها ، ولا يضيفونه إلى رجال مذهب بذاته . .
ولعلهم معذورون في هذا . . فالرجل متعدد الجوانب جم
الإنتاج . . وما قولك في رجل ظل يمد المسرح من سنة ١٩٠٢
إلى سنة ١٩٣٧ بمسرحية أو مسرحيتين أو ثلاث مسرحيات
كل عام . . وهو مع ذلك لا يمتنع عن كتابة القصة التي هي
ميدانه الأول . . . وكانت تظهر له بالإضافة إلى مسرحياته
قصة طويلة في المتوسط كل عام في هذه الحقبة نفسها ، حتى
انقطع لكتابة القصة بعد سنة ١٩٣٧

١٠ — وبالرغم من ذلك فهناك من يضيفون موم إلى
مدرسة كتاب الملاهي في فترة عودة الملكية Restoration ،
وإلى الكاتب الفكاهي ويكرلي Wycherley بالذات .

وفترة عودة الملكية هذه هي تلك الفترة التي أعقبت
فترة الكومونولث (١٦٤٩ — ١٦٦٠) التي ساد فيها حكم

الطهريين Puritans وأعلنت الجمهورية فى انجلترا بزعامة الطاغية كرومويل . . وقد كان الطهريون هؤلاء من التزمت وضيق الأفق بحيث أغلقوا أبواب المسارح الإنجليزية كلها بحجة منافاتها للأخلاق ومجافاتها لروح الدين،ولأنها مباءات للشياطين ، فلما انتهى عهدهم وعادت الملكية ، وعاد إلى انجلترا الملك شارل الثانى أمر باعادة فتح المسارح . . وراح يغدق على مسارح اللهو الملكية ما تعدى حدود الإسراف إلى حدود السفه . . . ولما كان الملك نفسه رجلا خليعاً تحيط به حاشية ملكية خليعة ، فقد نفقت سوق الملهاة الخليعة المترفة وأصبحت لها الصدارة بين الألوان المسرحية التى ظهرت فى تلك الفترة فى المسارح الملكية . ومن أهم تلك الألوان المأساة التى كان يجرى فيها چون دريدن فى غبار شيكسبير والتى برز فيها توماس أوتواى Th. Otway إلى آفاق لا بأس بها . . كما ظهر فى ميدانها كتاب آخرون . . ثم لون آخر . . هو مسرحيات البطولة . . وعجيب أن يظهر هذا اللون فى عصر محروم حرماناً تاماً من البطولة . .

ونعود إلى ملهاة فترة عودة الملكية فنقول إن كتابها ، بل كتاب جميع الألوان المسرحية فى تلك الفترة لم يكونوا ينشدون بكتاباتهم مثلا عليا مسرحية تتحكم فيها أذواقهم ويأملون بها أن تخلد أعمالهم وأسماؤهم فى سجل الخلود ، بقدر ما كانوا يتوخون إرضاء الملك الخليع الداعر وشفاء نفوس

من حوله من حاشيته المترفة المسرفة . . ولهذا فقل أن تجد فى ملاهى هذه الفترة ملهاة يعنى كاتبها بفكرة المسرحية، أو بأن يهدف بها إلى مغزى أخلاقى أو اجتماعى، أو أن يضمنها فلسفة واضحة معينة . . إن الذى كانوا ينشدونه جميعاً هو إضحاك الملك الخليع وحاشيته التافهة . . ومن ثم راجت ملاهى المواقف والملاهى السلوكية، واشتهر من كتابها چون دريدن أيضاً ثم توماس شادول Th. Shadwell ثم آپهرا بهن Aphra Behn — أفحش كتاب تلك الفترة وصاحب أبشع سلسلة من الملاهى الشهوانية — ثم كتاب وكاتبات آخرون من طرازه . . ومن كتابها الفكهين السلوكيين الذين عنوا عناية عظيمة برسم شخصياتهم وجعلها مصدراً للفكاهة ومثاراً للضحك النظيف نوعاً ما السير « چورچ إثردچ » G. Etherege زعيم هذه الطائفة والذى شق لها طريقها . . ثم ويكرلى Wycherley ثم كونجريف Congreve — وهو أعظمهم . . وغيرهم وغيرهم . . .

أما « وليم ويكرلى » الذى يقولون إنه أكبر كتاب فترة عودة الملكية أثراً فى موم — وإن كان الأرجح أن موم تأثر بهم جميعاً — فقد كان ينزع إلى فلسفة أخلاقية خفيفة فى هذا الجو الإباحى العاصف الذى كان يعيش فيه ، كما كان ينزع فى ملاهيه نزعة بنائية إنشائية لم ينزعها أحد من كتاب الملاهى فى تلك الفترة ، وإن يكن أسلوبه اللغوى الذى ساقه

فى ملاهيه أسلوباً حوشياً خشناً لا يتفق وجمال هذه الملاهى . ولا يتفق وتلك البشاشة والرقة التى كان يمزق بها أثواب الرياء عن أوجه أهل زمانه ؛ وما كان يفضح به مخازيهم ويسم به منكراتهم ويصور به تفاهاتهم . . والحقيقة أنه فى هذا كله أستاذ موم الذى لم ينس أن يغترف من بحار الآخرين .

* * *

وبعد ، فهذه هى الخطوط العامة التى لا يمكن أن نفهم بها «وليم سومرست موم» إلا إذا وعيناها وجعلناها فى بالنا . . . نشأته . . وحياته ومقومات ثقافته . ثم المدارس المذهبية التى تركت أثرها فيه ، ثم كبار كتاب القصة وكبار كتاب المسرحية الذين جرى موم فى غبارهم . . . ولعل كثرة تلك المدارس وكثرة هؤلاء الكتاب الذين تركوا آثارهم فيه هى التى جعلته كاتباً منوعاً لا يكاد الناقد يعرف إلى أى المدارس الأدبية يضيفه ، ولا إلى أى المذاهب ينسبه .

وقد كتب موم من سنة ١٩٠٢ إلى سنة ١٩٣٧ سبعاً وعشرين مسرحية كلها ملاه خفيفة إلا بعض المآسى التى منها The Sacred Flame التى تقتل بطلها المعذب أمه ، ومنها أيضاً مأساة For Services Rendered تلك الميلودرامة التى جعل المؤلف أقوى شخصية فيها تنتحر فى آخر المأساة .

لقد كان موم يدور فى معظم قصصه ومسرحياته حول الحب الخائن الآثم والصبوة الزوجية ونفاق رجال الدين ، الذين

لا يلبث تدينهم يزلزل زلزاله أمام ابتسامة واحدة من أنثى . .
فينسون الله وملائكته ورسله وكتبه وزواجره ونواهيه . .

ولم يكن يعنى قط بفلسفة اجتماعية يدعو إليها ويبشر بها ، أو يعالج مشكلات الحياة المعقدة التى لا نهاية لها ولا يمكن أن تقع تحت حصر . . . ولم يكن فى معظم هذه القصص والمسرحيات يزيد على ما يفعله الفنان الذى يعطيك لوحة جميلة بارعة تخلب اللب وتستلفت الأنظار . . لكنها لا تكاد تتصل بالحياة العامة ولا شأن لها بقضايا الإنسانية ومشكلاتها الكبرى . . وهو بالرغم من ذلك الكاتب الساخر الحلو الدعابة المغرم بالأمثال وجوامع الكلم والأقوال الحلوة التى تضحك لها النفس وتفكر فيها ، ثم لا يلبث الإنسان أن يدرك أنه من صاحبها أمام مصور فنان،وقف فى بحر الحياة المصطخب يرسم منه لوحات ساخرة متهكمة يضحك فيها على الناس ويستهزئ بسخافاتهم ويبرز لهم حماقاتهم، ثم يضعها لهم فى معرض كبير ضخم هو تلك القصص وهذه المسرحيات . . تماماً كما كان يصنع الفنانون من زعماء المذهب الطبيعى ولا سيما تولستوى وهاوپتمان وجوركى . . وكما كان يصنع كتاب فترة عودة الملكية فى انجلترا وفى مقدمتهم ويكرلى — ثم إثردج وكونجريف وڤنبره وفركهار وشادول . . أولئك الذين لم يكن لهم هم إلا تضحيك حاشية الملك الخليع بعد الكبت الطويل الذى ذاقوه على أيدى الطهريين السخفاء المتزمتين . . والذين

كانوا يتخذون نماذجهم من أفراد تلك الحاشية نفسها — رجالا ونساء — يرسمون منهم لوحاتهم ثم يعيدون عرضها عليهم لكي يقولوا لهم : اضحكوا أيها البلهاء على مخازيكم !

وهذا هو الذى كان يفعله موم . . وكان يفعله بهذه الطبقة نفسها تقريباً . . هذه الطبقة من ذوى الصدارة وأهل العلية الذين كانوا زملاءه فى عهد الطب عقب أن جاء من فرنسا ليلتحق بالمدارس الإنجليزية ، فسخروا منه وضحكوا عليه ولم يحفلوا بيتمه ، وهم الكلاب التى تلبس أطواق الذهب وتتحلى بالجواهر ، وتأكل البسكوت وتتقلب فى المصايف العالمية ، وتنعم بالمناصب الكبرى وبالجاه والسلطان وأسلاب الإمبراطورية ، فإذا جئتهم لم تجد عندهم شيئاً . . غير السراب وغير الجهل . . وغير الغرور والكبرياء الفارغة . . إنه اليوم يسخر منهم ويضحك عليهم ويزرى بهم . . إنه يرسم فيهم لوحاته ليضحك الدنيا بأسرها على الأحلام الفارغة التى تحكم الإمبراطورية وتتحكم فى مصائرها ، وبالتالى فى مصائر البشرية التى سلطهم شيطان الاستعمار والديمقراطية الحمقاء عليها .

وهذا واضح وضوحاً سافراً فى هذه الملهاة التى يعدها كثيرون آية موم الكبرى . . هذه الملهاة — الدائرة — التى كتبها سنة ١٩٢١ — أى بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها بثلاث سنين ، وكانت بريطانيا فى ذلك الحين فى

أوج سلطانها واستعبادها للشعوب التى نكبت بشيطان استعمارها ؛ وبالرغم من ذلك لم ينطل هذا المجد الفارغ والرواء التافه على موم ، فمرغ كرامة الإمبراطورية فى التراب ، وصور بأسلوبه الفكه اللاذع كيف كانت هذه الإمبراطورية تحكم ، وكيف كانت أمورها تساس ، وكيف كانت عشيقة السياسى الكبير تصبو بنظرها إلى حكم الهند ، ولا ترضى بأن تحكم أستراليا الغربية . . . وكيف كانت موائد البردج أهم فى نظر الساسة من حضور جلسات البرلمان ؛ تماماً كما فاز إيدن برئاسة الوزارة لأنه فقط زوج بنت تشرشل ! !

إن مسرحيات موم تكاد تخلو من القصص إلا نادراً ، ومعظمها مسرحيات مواقف يشحنها الكاتب الفكه بما يشاء من السخرية بتلك الإمبراطورية الهرمة ، والزراية بتلك الطبقة التافهة من حاملى الألقاب رجالا ونساء . . وموم يكاد يتبع نظام الكتاب الكلاسيين فى معظم مسرحياته . . إذ يأتى المسرحية من نهايتها أو مما يقرب من تلك النهاية ، ثم يعرض قصة الماضى كله فى أثناء الحوار . . . ومن ثمة يلاحظ أن كثيراً جداً من تلك المسرحيات يبدأ ثم ينتهى فى أثناء زيارة أو اجتماع عند أحد الأطراف المشتركة فيها .

وهذه المسرحية من هذا القبيل . . . فهى تبدأ وتنتهى فى إحدى الزيارات التى جمعت شمل المشتركين فيها جميعاً . . فيها نقد كثير لأوضاع الحياة حول فكرة عابرة .

إنها قصة زوجة (كيتى) غرت فى إبان حياتها الزوجية مع عشيق لها (پورتيوس) بعد أن كانت تحيا حياة سعيدة هانئة مع زوجها الأول (كلايف) الذى أنجبت منه ولداً لطيفاً (أرنولد) تركته لأبيه فى الخامسة من عمره لتنعم بغرامها الجديد فى كنف عشيقها الجديد . . ثم يمضى على هذه الصبوة ثلاثون عاماً . . ويكبر الطفل ويصبح رجلا . . ثم يتزوج . . ثم تحضر أمه لزيارته ومعها عشيقها (!) . . ويكون هناك زائر شاب (تدى) بن رجال الأعمال لا يكاد يرى (إليزابث) زوجة صديقه (أرنولد) حتى (يستلطفها !) وحتى تقع هى فى غرامه . . فيتفقان على أن يكون كل منهما للآخر . . ولكن الزوجة تصارح أرنولد بهذا الحب فلا يغضب ولا يثور وإن ناقشها طويلا فى أسباب ذلك ، وحاول مستثيسا أن يثنيها عن الإقدام على تلك المخاطرة . . . لكن إليزابث تصر . . ولا يرى أرنولد إلا أن يوافق مرغماً على فراقه منها . . ثم هو يضع باسمها فى البنك بالرغم من ذلك ألفين من الجنيهات (لكى تحافظ على مستوى المعيشة الذى تعودته مع أرنولد وهى تعيش مع صديقه تدى هذا العامل البائس الفقير الذى يكدح ويريق عرقه ليغيش !) .

ويكاد هذا الموقف من أرنولد يثنى عزيمة إليزابث عن الفرار مع تدى . . ولكن تدى — رجل الأعمال ، أو الرجل العملى — يعيدها إلى صوابها ، وينصحها بطريقة عملية بألا

تفقد حبها الجديد كما فقدت سعادة قلبها قبل ذلك وهي في كنف أرنولد الذي لم تحبه قط ، والذي لم يكن زواجها منه إلا زواج مصلحة .

وفجأة . . تقبل إليزابث . . ويقبل تدى . . وتفر معه اليوم إلى الشرق الأقصى ، إلى الملايو ، كما فرت الليدى كيتى (أم أرنولد) مع اللورد پورتيوس قبل ثلاثين عاماً .

فهذه هي الحادثة . . أو هو هذا الموقف . . ولا يمكن أن يسمى قصة . . الذي استغله موم ليجعل منه إطاراً لمسرحية فكهـــة من أظرف مسرحيـــات اللمز والسخرية برجال الإمبراطورية وسيداتها ، وتصوير العقلية البائسة التي تعيش بها تلك الطبقة التي اتخذ منها موم لعبته طوال حياته .

والمعروف عن موم أنه ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، من أمهر الكتاب المسرحيين في تصوير شخصياته تصويراً لا افتعال فيه ولا تعمل بالرغم من صنعته المسرحية المغرقة التي يفرضها عليه منهاجه الكلاسي في الكتابة .

والشخصيات المهمة في هذه المسرحية ست شخصيات . أربعة رجال وسيدتان . . والرجال هم :

١ — كلايف تشامپيون ، والد أرنولد وزوج الليدى كيتى التي تركت هذا الزوج الطيب ، لأن اللورد پورتيوس هام بها حباً فآثرته على زوجها وفرت معه لينشئ له جنة في فلورنسة — عروس المدن الإيطالية — بينما يسهر كلايف على

تربية ابنه أرنولد الذى كان لا يزال طفلا فى الخامسة من عمره حينما تركته أمه . . ثم لا يتزوج أبداً كى يكرس حياته لهذا الابن الذى كبر اليوم وتزوج وأصبح من رجال السياسة المحترمين الذين يشار إليهم بالبنان .. ويفضل أبوه كلايف أن يعتزل الحياة فى كوخ قريباً من مسكن أرنولد . . وقد كان فى رحلة إلى باريس حينما عاد لورد پورتيوس – سارق زوجته – ومعه كيتى من فلورنسة لزيارة انجلترا . . ولما علمت إليزابث بذلك أشارت على زوجها أرنولد بدعوتهما إلى زيارته تكريماً لوالدته ، فإذا اعترض أرنولد بأنه لن ينسى لهذه الأم ما فعلت به وبأبيه وما أوقعت بهما من الضرر فى محيطهما السياسى قالت له : « لعلك لا تدرى أن المرأة قد تغلب عليها عاطفة الأمومة فتكون أما أولا . . وقد تطغى عليها أنوثتها فتكون أنثى قبل كل شىء . إن غرام والدتك ليثيرنى ويشجينى . . وإذا كانت قد أحبت ذلك الرجل كل ذلك الحب فأى عجب فى أن تضحى باسمها ومركزها وطفلها من أجله ! !

وهذه إجابة تصور لنا إليزابث نفسها قبل أن تصور لنا والدة أرنولد .

على أن أرنولد يطيع زوجته ويدعو أمه وعشيقها پورتيوس . . ولكن كلايف والد أرنولد يصل فجأة من باريس ، ويحضر حفل الاستقبال . . ويلقى زوجته كيتى . .

أم ابنهما أرنولد . . كما يلقى عشيقها وصديقه القديم اللص لورد پورتيوس . . فماذا يكون من هذا اللقاء ؟ ! لا شيء . . وأرجو أن تذكر أن نخوة الرجولة فى نفس كلايف . . وفى نفس أرنولد . . وفى نفس پورتيوس أيضاً . . قد وضعت فى ثلاجة . . بل وضعت فى مستودع من جليد القطبين الشمالى والجنوبى وأقطاب الكواكب السيارة كلها . . وكيف تكون فى نفس كلايف نخوة ، وهو رجل يقضى حياته كلها فى لعبة البردج . . وهو يصل من باريس ويلقى إليزابث زوجة ولده فلا يكاد يعرف من هى . . ثم يقدمان إليه (تدى) صديقهما والحبيب الموعود لإليزابث فيبادره بالسؤال أول ما يراه : « أتجيد لعب البريدج ؟ » هكذا بلا مناسبة ؟ !

ونحن ندرك من حديث بين إليزابث وبين كلايف أنه كان سكرتيراً برلمانياً لپورتيوس ولعل هذه الصلة هى التى أوقعت كيتى فى غرام هذا الصديق الذى كان أقرب إلى منزلة الرئيس لزوجها الذى لا يفتنه شىء مثل لعب البريدج !

ثم هو يلقى زوجته القديمة فى دار ابنهما أرنولد وهى الدار نفسها التى تعاشرا فيها خمسة أعوام طوال والتى تركها الآن لولده . . والدنيا لا تدور برأسه حينما يرى زوجته مع عشيقها فى دار ابنهما .. لا .. لا . . إنه رجل وديع كالحمل . إنه يجلس ليلعب معهما البريدج . . ويسامرهما ، وكأن شيئاً لم يحدث . . أبداً . . أبداً ! إلا أننا نراه ينطق بالحكمة أحياناً ،

ولا سيما وهو يستنتج العبر مما أسفر عنه ذلك الغرام الآسن بين كلايف وبين كيتى . .

ثم هو يشير بحكمته هذه على ابنه أرنولد حينما تصر زوجته على تركه والذهاب إلى الملايو مع حبيبها الجديد . . ولكن مشورته . . إلى أين تنتهى وعلام تسفر ؟ !

٢ – ولعل الشخصية التى تلى شخصية كلايف هى شخصية اللورد پورتيوس – أو هيوجى كما تدلله كيتى – ذلك الذى يصفه كلايف فيقول : « إنه كان يوماً ما ألمع شباب انجلترا ، وأن كل إنسان كان يتوقع له أن يصبح رئيساً للوزراء . . فماذا صار إليه الآن ؟ . . لقد أصبح مخلوقاً شرساً متهدماً يستخدم أسناناً صناعية ! . . . إنه لا يرى إلا وهو مخمور محطم البنيان ، بعد أن كان شاباً وسيما حسن المنظر وفارساً لا يشق له غبار ، كما كانت له جاذبية خاصة بقوامه المشوق وبنيانه الرشيق ومنظره الأنيق » . . هذا الخائن الذى اختاره كلايف ليكون إشبين ولده أرنولد فسرق أم أرنولد . . . إنه فر من حياة انجلترا كلها بعد أن زكمت فضيحته الأنوف ، فسافر ليقيم فى فلورنسا بين موائد البريدج وبين الغانيات الفلورنسيات . . أجل بين الغانيات الفلورنسيات . . . فقد كانت كيتى وحدها لا تشبع نهمه ... هذا الرجل الذى بلغ من سلاطته قبول دعوة أرنولد ابن كلايف والمقيم فى منزل والده . . ليذهب إليه فى صحبة كيتى الزوجة

المخطوفة . . والأم القذرة لم تكن تحمل يوماً ما قلباً نقياً أو كبدا حرى !

٣ ـ أما الشخصية الثالثة ، وإن بدت أنها بطل الملهاة ، فهى شخصية أرنولد . . أرنولد عضو البرلمان الإنجليزى الذى لا يهمه فى هذه الدنيا إلا مظهر بيته وإلا الشقشقة فى البرلمان وفى المحافل بما لا يدين به من أقوال أو أفعال . هذا الرجل الذى يشترى الآثار ويقتنى الغرائب . . فإذا قال له لورد بورتيوس ـ عشيق أمه ـ إن كرسياً من الكراسى التى اشتراها ليس أثرياً ، وأنه مقلد زائف ، دارت الدنيا برأسه وأخذ يرجع إلى كتب الآثار المعتمدة ليتحقق من أن كرسيه أثرى ولا شك فى هذا . . أرنولد هذا . . يترك زوجته لتلاعب صديقه « تدى » التنس بتلك الملابس القصيرة الرشيقة فلا تكون النتيجة إلا أن تتكرر المأساة القديمة ، وينمو حب جديد فى نفس الدار . . بين الزوجة الشابة الجميلة التى أهملها زوجها ثلاث سنوات طوالا ، دون أن يفرغ لها مرة ودون أن يوليها من العناية جزءاً من مائة جزء من عنايته بالعاديات والكراسى الأثرية ، والشقشقة فى جلسات البرلمان وفى الندوات الفارغة التافهة . أرنولد هذا الذى يقف الموقف الذى أشرنا إليه مع والدته يعود فيقف نفس الموقف مع زوجته الشابة الجميلة اللعوب التى نام عنها فسرقها منه صديقه الذئب « تدى » .

ولعل سخرية موم كلها تركزت فى هذا الموقف الأخير

بين أرنولد وبين زوجته التى جاءته ترجوه أن يبدأ هو بطلب الطلاق منها حتى يخلو لها وجه صديقه . . . فإذا نحن نرى أرنولد لا يثور ولا يفور ، وإن حاور وداور ثم يستسلم آخر الأمر كما تستسلم النعجة . وليس كما يستسلم التيس . . وإذا هو يرق رقة متناهية فيعرض أن يضع باسم زوجته ألفين من الجنيهات ؛ لتحافظ بالمبلغ على مستوى الحياة الذى تعودته فى بيته ؟ ! فإذا عارضت أرغمها على القبول . .

إن بعض النقاد انخدعوا فى ذلك التصرف من أرنولد ، وزعموه تصرفاً إنسانياً لا يصدر إلا عن الملائكة . . ولا نريد نحن أن ننخدع كما انخدع هؤلاء . . فنتلف الصورة الساخرة التى رمى إليها موم . . موم الذى تعد سخريته من الطبقات الأرستقراطية ومحدثى النعمة من الطبقة البورجوازية حسنته الكبرى . . موم الذى لم يكن رومنسياً قط ، والذى تتلمذ على كتاب المذهبين الطبيعى والواقعى ، وعلى مدرسة كتاب الملاهى فى فترة عودة الملكية عامداً متعمداً ، لكى يحسن الانتقام من هذه الطبقات المذكورة بتصويرها بتلك الصورة المخزية التى تقذف بنواحى الضعف فيهم على المسرح أو فى ثنايا القصة قذفاً . ومن ثمة يجب ألا نعد ما بدا من أرنولد فى هذا الموقف من الإنسانية فى شىء . . بل هو إيغال من موم فى السخرية بهؤلاء البورجوازيين الذين يقفون فى مواقف الشرف هذا الموقف الطرى الرطب المخزى . . يقفه مرة تلقاء

أمه وعشيقها . ومرة تلقاء عرضه وامرأته وصديقه اللص الذى حل عليه ضيفاً فغازل زوجته ثم سرقها كما سرق پورتيوس أمه من قبل .

٤ ـ أما الرجل الرابع فى الملهاة فهو « تدى » ! . إنه الشخصية الإيجابية الفعالة الوحيدة فى المسرحية كلها . . . إنه كما وصف نفسه لإليزابث وهو يغريها بالفرار معه إلى الملايو ، حيث التعب والضنى : إننى رجل أعمال . . أتفهمين ما هو رجل الأعمال ؟ الرجل الذى ينسى العواطف وقت الجد . . أنا لا أجيد المطارحات الغرامية . . أنا أحببتك وأنت أحببتنى . . . إذن . . . إنتهينا . . لماذا تعيشين فى قفص مع هذا الزوج الذى لا تحبينه ؟ يجب أن تضعى الموضوع كله بين يديك لترى الفوائد والأضرار من فرارك معى وحياتك إلى جانبى . . . أريدك أن تفهمى أننى لم أحبك لأنك جميلة جداً . . . كلا . . . فلو كنت عجوزاً شمطاء لأحببتك أيضاً بمثل القوة التى أحبك بها الآن . إنى أحبك أنت ، ولست أحب شكلك أو مظهرك . . وإلا فليذهب مثل هذا الحب إلى الجحيم !

فإذا بكت إليزابث قال لها من باب الغزل العملى أيضاً : لعنة الله عليك لا تبكى ! ألا تتركين لى فرصة أعرض فيها الأمر عليك بعقل؛وبعيداً عن هذه العواطف ؟ ثم يقول لها : إننى رجل أعمال عادى جداً ... ولا أملك «شلناً» غير الذى

أكسبه بعرق جبيني . . ولا مركز لى فى المجتمع . . إننى لا شىء . . أما أنت فغنية، ولك مركزك الاجتماعى الممتاز . . ولكنى أفضل لك أن تتركى هذا كله،وتجيئى معى إلى الملايو حيث السعادة العملية وحيث القلب الذى يحبك ، وحيث تتعلمين أشياء أخرى لم تتعلمها هنا . . . فإذا لم تكونى راغبة فى المجىء معى، فقولى هذا الآن ودعينى أرحل من فورى . .

فإذا أعلنت أنها تحبه وأظهرت شيئاً من فورة العاطفة الغرامية قال لها : يا لك من عاطفية لعينة ! هيا . . إننى سأعلمك الصيد فى الملايو . . إنك لا تدركين جمال القيام فى الفجر والسير خلال الغابة ومداعبة الوحوش والموت !

هذه شخصية دافقة بالحياة . شخصية «إدوارد لوتن» الذى يصغرونه فيقولون (تدى) كما يصغرون كل شخصية فى المسرحية إلا شخصية إليزابث . . أجمل فتاة فى الرواية ! إنه فى نظر أرنولد فتى عابثا شديد الاستهتار .. إن لم يكن ماجناً وخليعاً . . . فهل هو كذلك ؟

* * *

أما الشخصيات النسائية فأهمهن شخصية كيتى (الليدى كاترين تشامپيون شينى) . . ثم شخصية إليزابث . أما الشخصيات الأخرى فمن الأدوات المسرحية التى لا غناء عنها مع تفاهتها .

أما كيتى فهى تلك السيدة التى كانت يوما ما زوجة

المستر كلايف ووالدة أرنولد ، والتي كانت أجمل فتيات المجتمع الإنجليزي — في زمانها — وهي اليوم بالرغم من مرحها عجوز تصبغ شعرها باللون الأحمر وتغرق وجهها بالمساحيق . إنها الزوجة الحسناء التي ضحت بزوجها وطفلها في سبيل الحب الذي كانت محرومة منه في بيت الزوجية . . ولسنا ندري أي حب هذا الذي ينزع الأم من ولدها بعد خمسة أعوام من عمره ليعيش مجروح الكرامة طول حياته ، شاعراً بالخزي في المحافل السياسية ، لا سيما بعد أن أصبح عضواً في البرلمان . .

لقد ذهبت كيتي هذه ؛ مع عشيقها الذي حطمت حياته السياسية ، ومستقبله . . وهو الرجل الذي كان الجميع يؤمنون بأنه موشك أن يكون رئيساً للوزارة البريطانية . . ذهبت معه ليعيشا في فلورنسة الإيطالية ، حيث الدفء ، وحيث الناس يقبلون هذه الأوضاع ، والعلاقات الشخصية على علاتها . . إنهم قوم كما تقول كيتي لا يهمهم إلا أن يتزلفوا إليك فيحسنوا الزلفى لكي تنفحهم وتغدق عليهم ، ولكي يتباهوا بأنهم أصدقاء اللورد والليدي وجلساؤهما .

وكيتي هذه تعرف طبيعة المرأة معرفة تامة ، كما تعرف دفائن قلوب الرجال ، إنها تعرف أن الحب الخالص النقي أسطورة كبيرة . . وأن الرجل لا يشبع من الحب ، ولا يؤتمن على الوفاء . . حتى إذا فرت معه حبيبته من زوجها

ومن ولدها .. ولهذا فهى لم تترك فرصة واحدة بعد أن تقدمت بها السن ، وأخذ الشيب ينتشر فى رأسها ، وتجاعيد العمر تذهب بوسامة وجهها . . لم تترك لزوجها فرصة واحدة ليرى أنها شابت ، وأن الفتنة التى سحرته يوماً فضحى من أجلها بحياته السياسية وبمستقبله قد ولت ، أو أنها فى طريقها إلى الذبول . . ومع هذا فقد كانت تؤمن بأن اللورد يخونها . . وأنه وإن أصبح عجوزاً مهدماً أصلع لا يكاد يفيق من الخمر يصبو ، ويغازل ، ويشترى الهدايا الثمينة للكواعب الأتراب . .

كيتى تعرف هذا كله . . ومع ذلك فهى تبتلعه وتغض الطرف عنه . إن فيها من « تدى » أثراً عملياً . . . واسمع إليها وهى تنصح إليزابث بعد أن عرفت أنها تحب رجلا غير أرنولد — ابنها — وأنها مزمعة أن تفر معه كما فرت هى مع پورتيوس من قبل !

« كيف يمكنك الاستقلال بنفسك فى هذه الحياة والاعتماد على مجهوداتك ؟ قد تحسبين أننى امرأة تافهة حمقاء . ولكن . . لا . . إن الحياة قد لقنتنى دروساً قاسية لن أنساها . إن فى وسع الناس أن يضعوا من القوانين والتشريعات ما يشاؤون — وفى وسعهم أن يعطونا حق الانتخاب . لكنك إذا تأملت وجدت أن أعباء نفقات الحياة تقع على كاهل الرجال . . ومن هنا يجب أن تكون لهم اليد العليا والكلمة المسموعة . . . إن المرأة لن تصبح مساوية للرجل

إلا إذا تمكنت من كسب عيشها بالطريقة نفسها التى يكسب بها الرجل عيشه .

« إن الطاهية التى تتزوج طاهياً يمكنها أن تقف منه على قدم المساواة لأنها تكسب من المال ما يكفيها . . ولكن المرأة التى فى مركزك وفى مركزى يجب أن تعتمد اعتماداً كلياً على الرجل الذى تعيش معه طول عمرها .

« وإذا كنت تعتزمين العمل والكدح فى الحياة إذا عشت مع « تدى » فماذا تعتزمين أن تكونى ؟ ممرضة ؟ كاتبة على الآلة الكاتبة ؟ إن هذا كله باطل وقبض الريح . . إن المرأة إذاتعودت حياة الدعة لم تصلح بعدها لشىء . . فقد سمم اللهو والراحة حياتها وسريا فى دمائها . . . إنى ليحزننى يا إليزابث أن أراك مقدمة على الغلطة نفسها التى ارتكبتها أنا من قبل . . . انظرى إلىّ يا إليزابث . . ثم أنظرى إلى پورتيوس . أتحسبين أن هروبنا معاً كان عملا صائباً ؟ . وهل تعتقدين أننا لو أمكننا أن نعود إلى شبابنا ، أكنت أقدم على هذا الجنون الذى ارتكبت ؟ أو كان پورتيوس يرضى بأن يتكرر هذا الجنون ؟ ! آه ما كان أقسى مقاطعة الناس لى وأمر نظراتهم إلىّ بعد تلك الفضيحة وقبل أن نفر إلى فلورنسا ! . . . إنك يا عزيزتى إليزابث لا تدركين أهمية الزواج لنا معاشر النساء . . إنه حصننا الأمين المكين الذى نلجأ إليه ليحمينا ويظلنا . . وإن الجاهلات الغبيات منا هن اللائى

يعبثن برباط الزواج المقدس ! ألا كم كانت الكنيسة بعيدة النظر فى موقفها من الزواج والمتزوجين . وأن يكون الزواج عهداً لا يحل ولا ينفصم ! ! »

* * *

إن الإنسان لا يكاد يصدق أذنيه وهو يسمع هذا الحوار الطويل العميق اللطيف بين كيتى وبين إليزابث . . إن الزمن هو الذى يتحدث بلسان كيتى ذات التجربة . . . أما إليزابث فتتحدث بلسان الفتاة العصرية ولسان الثورة الاجتماعية .

والشخصية المهمة الثانية هى شخصية « إليزابث » . . ومعظم النقاد يقدمونها على شخصية كيتى . . وهم يقولون : إنها وإن لم يكن لها عقل كيتى فإن لها إرادة أقوى من إرادة « كيتى » . . . ثم هى لم تقع فى غلطة « كيتى » كاملة . . لقد فرت « كيتى » من زوج عاشرته ست سنوات ، وأنجبت منه طفلا تولت تربيته والسهر عليه خمس سنوات . . ثم هى قد فرت مع رجل قد يغرى المرأة جاهه ومنصبه السياسى وثروته الكبيرة ولقبه بالفرار . . . أما إليزابث فقد أحبت (من غلبها !) كما يقول العامة عندنا . . لقد أهملها زوجها المغرم بالعاديات وبالشقشقة فى دنيا السياسة . . ثم هى قد أحبت أول طارق دق على باب قلبها الجائع الظامئ العريان . . وهى لم تعاشر أرنولد إلا ثلاث سنوات ، ولم تنجب منه طفلا . . لماذا ؟ إن بعض النقاد الخبثاء يستنتجون من ذلك

نتائج خبيثة يرمون فيها أرنولد بتهم شتى ! . . . والمعتدلون منهم يعزون عدم إنجاب الأطفال إلى ما أدركته إليزابث من أنها لا تحب هذا الزوج السياسى العادى التافه ، فآثرت ألا تنجب منه أطفالا حتى لا ترتبط به إلى الأبد . . . وإن لم يحل هذا العامل دون هروب كيتى . . لاختلاف الظروف والمؤثرات .

هذا وقد كانت إليزابث لا تنفك تذكر حادث هروب كيتى ، لأنها أم زوجها . . وكانت لا تنفك تفكر فى هذا الحادث تفكيراً عميقاً . . ولعله بدأ من الليلة الأولى من زواجها . . ولعل هذا أيضاً هو الذى جعلها تصر على أن يدعو أرنولد أمه وعشيقها لذلك الحفل الذى أزمع إقامته فى داره . . . فلماذا كان هذا الإصرار ؟ ألأنها أحبت « تدى » من النظرة الأولى ، أو لأنها أدركت أن هذا الحب سوف يكون له شأن آخر ، وأنه يجب ألا يقف عند حدود الغزل والنظرات والآهات الرومنسية . . أو الخيانات الزوجية ؟ . .

وإليزابث كانت فتاة فقيرة لا تملك ثروة غير جمالها وحيويتها . . لكنها كانت أمينة وفية لزوجها هذا التافه . . ولم ترد أن تقع فى غلطة كيتى . . فتفر مع « تدى » كما فرت « كيتى » مع « پورتيوس » فتحطم حياة أرنولد وتلوث شرفه وتهدر كرامته وسمعته كما صنعت « كيتى » . . . لهذا ذهبت إلى « أرنولد » لتصارحه بالموقف كله ؛ ولترجوه

هو أن يكون البادئ بطلب الطلاق . . لمصلحته لا لمصلحتها .
وهى تصر على هذا الموقف إزاء أرنولد . . ولا تكاد تضعف إلا عند ما يرغمها على قبول وضع ألفين من الجنيهات باسمها فى البنك . . إلا أنها لا تكاد تبدى عن ضعفها ذاك لحبيبها « تدى » حتى يوقظها من غفوتها بطريقته العملية التى أسلفنا الكلام عنها .

ولإليزابث فى هذه المسرحية مواقف كثيرة ، فمنها . .
ولعله أولها . . موقفها مع « تدى » حينما كانت تلاعبه التنس . . وحينما أحس كل منهما أن حياته كانت صحراء قبل أن يلتقيا . . وحينما استيقظ فى قلبيهما الحب لأول مرة فى تلك الحياة البلقع التى كانت أشد ما تكون حاجة إلى رشفة واحدة من المطر ، فاذا وابل بأكمله يسقط من السماء الرحيمة فيروى ظمأها !

ومنها موقفها مع « أرنولد » وهى تحاول أن يغفر لأمه غلطتها القديمة حينما غلبها الحب على أمرها (!) لأنها أنثى قبل كل شىء . .

ومنها موقفها من كلايف — والد زوجها — وهى تمهد لإخباره بنبأ قدوم زوجته كيتى مع عشيقها پورتيوس لحفلة اليوم . . . فى دار أرنولد . . ابنه . . وابن هذه الزوجة التى حبت والتى تلتمس لها الأعذار عن تلك الغلطة القديمة . .
ومع ذاك فقد نجحت فى ترويض كلايف . . لا سيما بعد أن

جلست على فخذه (!) تداعبه . . وتوقظ فى قلبه ذكريات حبه القديم لكيتى !

ثم موقفها الثانى مع « تدى » وهى تبدى له تخوفها من حبهما . . . فاذا هو يشجعها على هذا الحب بنقده الحياة فى انجلترا ، وما آلت إليه الحياة فيها من تكلف وصنعة وسخف وتقاليد عتيقة بالية . . . وإقناعها بأن الحياة فى الملايو غير ذلك . . إنها حياة الطبيعة والتحلل من التقاليد . . ثم مصارحتها بحبه . . واقتراحه أن تفر معه !

ثم موقفها من كلايف وهو يهاجم زوجته القديمة « كيتى » قائلا : « يا عزيزتى إن نفسها مثل وجهها ملطخة بالأحمر الكثيف الزائف . . وعواطفها كلها رياء ونفاق لا إخلاص فيه . . مجرد مظهر براق كاذب كله خداع . . انظرى إلى أى درك هبطت إليه ، وجرت إليه زوجها هذا اللورد المسكين ! . . . » .

إنها تتحداه وتلتمس الأعذار للمرأة التى توشك هى أن تفعل فعلتها ، فتقول له : « ومن يدرى أن مصيرها كان هو نفسه هذا المصير لو أنها بقيت لك زوجة ؟ ... على كل حال لقد أحبت ، وأحبت حباً شديداً . . وأنا لا أملك إلا أن أعطف عليها . . وإذا كانت قد هرمت فقد هرمت أنت أيضاً واتخذت أسناناً صناعية ! »

ولا تبالى حينما تكتشف أنه كان يعنيها هى بالذات بكل

ما كان يقوله . لأنه أدرك أنها تحب رجلا غير ولده أرنولد . . وهنا تقرر نهائياً الاستجابة لما يطلبه منها « تدى » .

ثم موقفها من « تدى » وهو يفشل فشلا ذريعا فى مطارحتها الغرام . وسرورها بهذا الفشل . . ولعل السر فى إعجابها به أنها « شبعت عواطف » كما يقولون . . . لقد كانت تتلقى لعنات « تدى » فرحة بها مسرورة وكأنها أشعار روميو !

ثم أعظم مواقفها مع أرنولد . . حينما ذهبت ترجوه أن يطلق سراحها ، ويدعها تمضى لحال سبيلها ! ! أى صراحة أعظم من صراحة « إليزابث » وهى تقول لأرنولد : « لقد مضى على زواجنا ثلاث سنين ، وبكل أسف أسفرت التجربة عن أن زواجنا كان زواجاً فاشلا ولا توفيق فيه . . وبكل صراحة يا أرنولد لقد سئمت نوع هذه الحياة التى حييتها معك والتى تريد استمرارها » .

ثم هى تكاد تحتقره حينما يفلت لسانه بقوله : إن سبب إبقائه عليها كزوجة هو ألا تتعرض عضويته فى البرلمان للخطر بسبب الفضيحة التى يحدثها طلاقهما » .

وفى الحديث بينها وبين كيتى تكرر هذا المعنى . . كما تكرر إصرارها على مفارقته .

وموم على تنوع شخصياته هذا التنوع هو موم الذى لا لا تتغير نظرته إلى الرجال كما لا تتغير نظرته إلى النساء . .

إنه هو هو فى هذه المسرحية كما هو هو فى أشهر مسرحياته التى ارتفعت إلى مستوى عالمى ، واشتهرت شهرة كبيرة وبخاصة فى انجلترا وأمريكا . . وليت هذا المشروع العظيم الذى تنهض به وزارة الثقافة لنقل روائع المسرحيات العالمية يدخل فى برنامجه ترجمة الكثير من مسرحيات موم وعلى رأسها :

1) The Constant Wife
2) Our Betters

* * *

وبعد فهذه مقدمة توخيت أن تشتمل على دراسة لموم تقرأ قبل قراءة المسرحية ، وعرض ودراسة للمسرحية يحسن أن تقرأ بعد الفراغ من قراءتها . . وذلك لأن قراءة مسرحيات موم أصعب بكثير جداً من قراءة قصصه . . إنها مسرحيات كتبت لترى على خشبة المسرح ولم تكتب للقراءة ومن هنا صعوبة فهمها وتحصيل مادتها .

أطال الله عمر موم ، فليس كثيراً أن يعيش إلى اليوم ستاً وثمانين سنة . . ولن يشبع الأدب منه .

(١٩٦٠) دريني خشبه

شخصيات
المسرحية
تدي إدوارد لوتن
ضيف على أرنولد، وهرب
بإليزابيث زوجة أرنولد
إليزابيث
أرنولد تشامبيون - تشيني
لورد بورتيوس
ليدي كيتي كاترين تشامبيون تشيني
كلايف تشامبيون - تشيني
والد أرنولد - وزوج كيتي سابقا
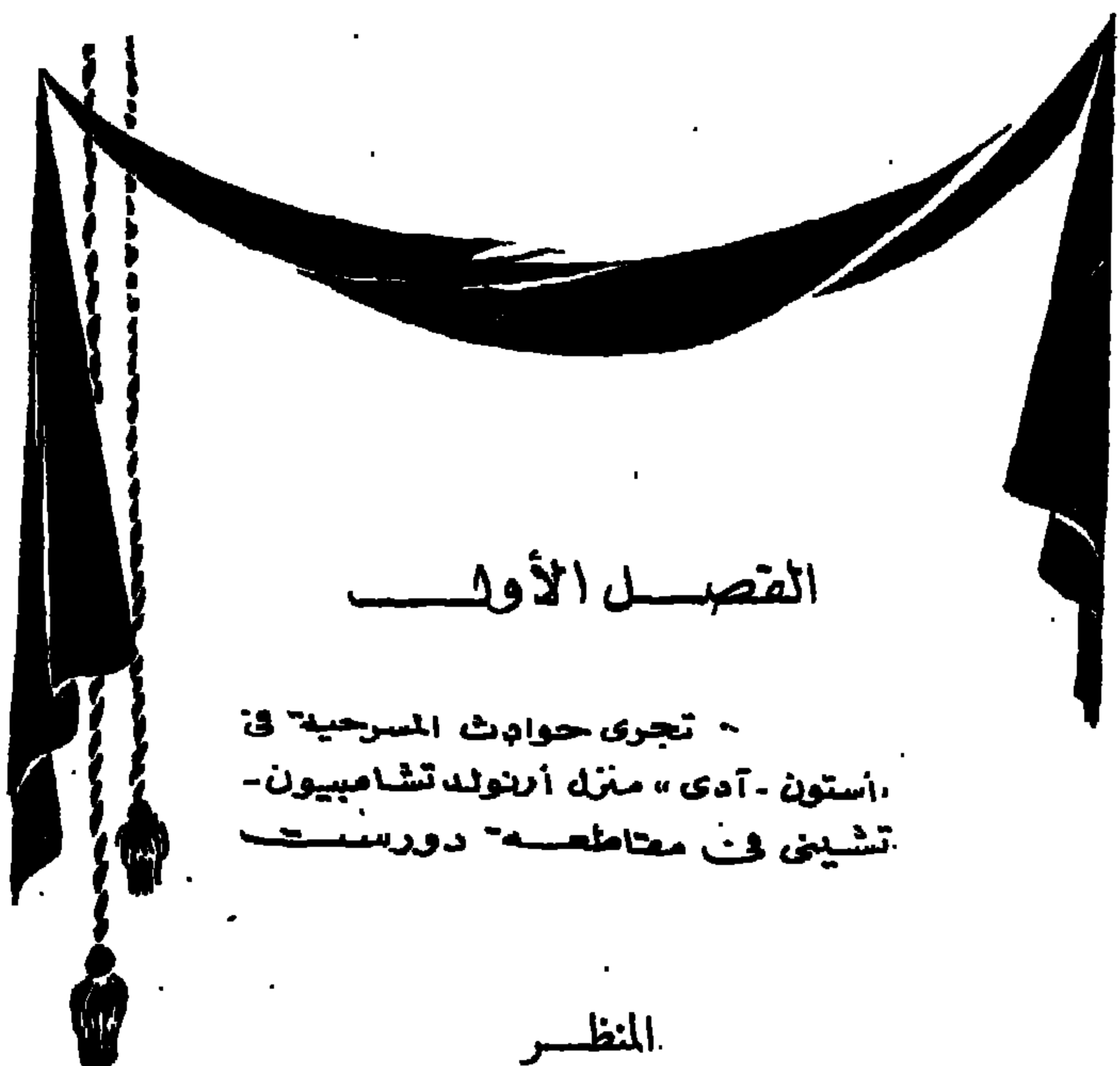
الفصل الأول

تجرى حوادث المسرحية فى «أستون - آدى» منزل أرنولد تشامبيون - تشينى فى مقاطعة دورست.

المنظر

حجرة جلوس فخمة فى آستون - آدى ، أثاثها من طراز عهد الملك چورج ، وتغطى جدرانها الصور الجميلة . وآستون - آدى ليس منزلاً ، ولكنه مكان يفخر به صاحبه ويهتم به ، فكل ما فى الحجرة يمت إلى ذلك العصر ومن خلال أبواب الشرفة فى آخر الحجرة تظهر الحديقة الجميلة التى تمثل أحد معالم هذا المكان . الوقت صباح يوم صيف جميل .

يدخل « أرنولد » وهو رجل فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره طويل القامة ،حسن المنظر ، أشقر الشعر « وله وجه » دقيق التقاطيع ينم عن إحساس مرهف ، كما أن نظرته تدل على الذكاء والفطنة إلا أن الحيوية تعوزها . . . ثم إنه أنيق الملبس جداً .

أرنولد : [منادياً] اليزابث ! . [ثم يذهب إلى الباب الزجاجى وينادى ثانية] اليزابث ! [يدق الجرس وأثناء انتظاره ينظر حوله فى الحجرة ثم يغير وضع أحد الكراسى تغييراً طفيفاً جداً كما يمسك بتحفة من على رف الموقد وينفخ التراب عنها] .

[يدخل الخادم]

چورچ ! حاول أن تجد مسز تشينى واطلب منها أن تتفضل بالحضور إلى هنا .

الخادم : حسناً جداً يا سيدى [ثم يستدير الخادم للخروج]

أرنولد : من هو المسئول عن العناية بهذه الحجرة ؟

الخادم : لست أدرى ، يا سيدى .

أرنولد : كم أرجو منهم عندما ينظفون هذه الحجرة ، أن يهتموا بوضع الأشياء فى المكان نفسه الذى كانت فيه قبلا .

الخادم : أجل . يا سيدى .

أرنولد : [يومىء له بالخروج من الحجرة] حسناً .

[يخرج الخادم ويذهب أرنولد ثانية إلى باب الشرفة وينادى] .

أرنولد : اليزابث ! [ثم يرى مسز شنستون أنا] أوه أنًّا ألا تعرفين أين اليزابث ؟

[تدخل مسز شنستون من الحديقة وهى سيدة فى الأربعين من عمرها باسمة الوجه أنيقة الملبس] .

أنّا : إنها تلعب التنس أليس كذلك ؟

أرنولد : كلا . لقد كنت الآن فى ملعب التنس . لقد حدث شىء مزعج .

أنّا : أوه

أرنولد : إنى لأعجب بحق الشيطان أين هى ؟

أنّا : متى تتوقع قدوم اللورد پورتيوس والليدى كيتى ؟

أرنولد : إنهما فى الطريق إلينا بالسيارة وسيصلان قبل موعد تناول طعام الغداء .

أنّا : أواثق أنت من أنك تريد منى البقاء هنا ؟ إن الفرصة لم تضع بعد كما تعلم . ففى إمكانى حزم حقائبى واللحاق بالقطار للسفر إلى مكان . . ما .

أرنولد : نحن نرغب فى بقائك بكل تأكيد فإن وجود الناس معنا هنا ، سيسهل لنا الأمر كثيراً . .

قد كان فضلا منك أن تأتى لزيارتنا .

أنتا : أوه ! هذا كلام لا معنى له .

أرنولد : كما أننى أرى أن وجود تدى لوتن معنا شيء جميل حقًّا .

أنتا : إنه شخص مرح يملأ المكان بحيويته أليس كذلك ؟

أرنولد : أجل . إن حيويته هى ميزته الكبرى فهو ليس ذكيًّا كما تعلمين ؛ ولكن هناك ظروفاً يحتاج المرء فيها إلى أمثاله من المنطلقين المستهترين. لقد أرسلت أحد الخدم ليبحث لى عن اليزابث .

أنتا : لعلها الآن تغير حذاءها فلقد ذهبت مع تدى لتلاعبه التنس .

أرنولد : إن تغيير الحـــذاء لا يتطلب منها كل هذا الوقت الطويل .

أنتا : [بابتسام] لن تستطيع تغير حذاءها دون أن تعيد النظر فى استكمال زينتها [تدخل اليزابث وهى مخلوقة جميلة جداً فى أوائل العشرين من عمرها وتلبس رداء صيفياً خفيفاً] .

أرنولد : أوه يا عزيزتى . . لقد بحثت عنك فى كل مكان . . . ماذا كنت تفعلين ؟

إليزابث : لم أكن أفعل شيئاً !

أرنولد : إن أبى هنا .

إليزابث : [مأخوذة] أين ؟

أرنولد : فى الكوخ . . لقد وصل ليلة الأمس .

إليزابث : يا للعنة !

أرنولد : [مداعباً] أرجو ألا تقولى ذلك يا إليزابث.

إليزابث : إذا أنت لم تقل يا للعنة عندما يكون الشىء ملعوناً فتى إذن تقولها ؟

أرنولد : كنت أتوقع أن تقولى يا للمضايقة ! أو أى كلمة أخرى تشبهها أو مرادفة لها .

إليزابث : ولكن تلك الكلمة لا تعبر عن حقيقة إحساسى . . وزد على ذلك أنك أنت نفسك فى خطابك يوم كنت توزع الجوائز قلت إن اللغة الإنجليزية ليس فيها مترادفات.

أنا : [باسمة] أوه يا إليزابث ! ليس من العدل أن تتوقعى أن يعيش رجل السياسة فى حياته الخاصة طبقاً لتصريحاته التى يدلى بها أمام الجماهير .

أرنولد : إنى أرغب دائماً فى التمسك بكل ما أقوله ، وفعلاً لا توجد مترادفات فى اللغة الإنجليزية

إليزابث : فى هذه الحالة أرى نفسى مضطرة للأسف

لأن أقول يااللعنة كلما شعرت بالحاجة إلى قولها.

[يظهر إدوارد لوتن عند الباب الزجاجي وهو شاب جذاب] .

تدى : هاى ... هل نسيتم التنس .

إليزابث : تعال نحن فى مشادة .

تدى : [قادماً] عظيم جداً ! وعم تتشاحنان ؟

إليزابث : عن اللغة الإنجليزية .

تدى : بربك لا تخبرينى بأنك كسرت قواعد اللغة !

أرنولد : [وهو شبه عابس] أرجو أن تدعى المزاح جانباً يا إليزابث فالموقف غير سار بالمرة .

أنا : أرى من الأفضل لتدى ولى أن نبتعد عن هنا.

إليزابث : هذا عبث ؛ فكلا كما له دوره فى الموضوع ، وإذا حدثت أية مضايقات فإننا سنكون فى حاجة إلى تشجيعكم المعنوى لنا ومن أجل ذلك قد طلبنا منكما المجىء .

تدى : لقد كنت أظن أنى دعيت من أجل زرقة عيونى . . .

إليزابث : يا للحيوان المغرور ! إن لون عينيك بنى .

تدى : هل حدث شىء ؟

إليزابث : لقد وصل والد أرنولد فى الليلة الماضية .

تدى : هل وصل حقيقة؟ يا للهول . . لقد كنت

أظنه فى باريس .

أرنولد : لقد كنا جميعاً نعتقد ذلك . لقد أخبرنى أنه سيبقى فى باريس حتّى الشهر القادم .

أنّا : وهل قابلته ؟

أرنولد : كلا ! لقد تحدث إلى فى « التليفون » . من فضل الله أن يكون فى كوخه تليفون فإنه لو جاء إلى هنا فجأة لأوقعنا فى حيرة وارتباك لا حدّ لها .

إليزابث : وهل أخبرته أن الليدى كاترين سوف تحضر ؟

أرنولد : كلا بالطبع ! فلقد صعقت عندما علمت بوجوده هنا ثم إننى فضلت أن نبحث الأمر معاً أولاً .

إليزابث : وهل هو قادم إلى هنا ؟

أرنولد : نعم لقد عرض علىّ ذلك ولم أجد عذراً أمنعه به من القدوم .

تدى : ألا يمكنك تأخير الآخرين عن الحضور ؟

أرنولد : إنهم آتون بسيارتهم ، وقد يصلون فى أية لحظة ولم يعد فى الإمكان الاتصال بهم .

إليزابث : زد على ذلك ، منعهم من الحضور سيكون فى منتهى الوحشية وقلة الذوق .

أرنولد : لقد كنت أدرك أنه من السخف دعوتهم لزيارتنا هنا ولكن إليزابث أصرّت .

إليزابث : ورغم كل ما تقول فهى أمك يا أرنولد .

أرنولد : إنها لم ترع حرمة الأمومة فى الماضى حينما تركتنا وهربت وأظنك لا تتوقعين منى أى اهتمام بشأنها الآن .

إليزابث : لقد حدث ذلك منذ ثلاثين سنة ومن العبث أن تظل تحقد عليها بعد هذه السنين الطويلة.

أرنولد : إنى لا أحقد عليها ولكن الحقيقـــة التى لازالت قائمة هى أنها أوقعت بى من الأذى ما لن يمكن إصلاحه . . . إنى لا أجد لها أى عذر يبرر فعلتها . .

إليزابث : .وهل حاولت أن تجد لها هذا العذر ؟

أرنولد : ياعزيزتى إليزابث لا جدوى من إعادة المناقشة فى هذه المسألة ؛ فالحقائق واضحة كالشمس ؛ فلقد كان لها زوج يعزها ، ومركز اجتماعى ممتاز ، وتحت يدها من النقود ما يزيد عن حاجتها كما أن لها طفلاً فى الخامسة من عمره ، ورغم كل ذلك فقد هربت مع رجل متزوج .

إليزابث : إن الليدى پورتيوس لم تكن سيدة جذابة

جداً يا أرنولد [تخاطب أنا] أتعرفينها ؟

أنّا : [مبتسمة] لعل كلمة « منفرة » هي التي تقصدينها على ما أظن ؟

أرنولد : إذا كنتم تريدون التهكم والسخرية فليس لديّ ما أضيفه إلى ما قلت .

أنّا : إني آسفة يا أرنولد .

إليزابث : ما دامت أمك قد أحبت فمن الجائز أنها لم تقدر أن تملك من أمر نفسها شيئاً .

أرنولد : ألم يكن لديها أى إحساس بالشرف أو بالواجب أو بالاحتشام ؟ يا الله ! أجل . إذا فقد الإنسان هذا الإحساس هان عليه كل شيء .

إليزابث : ليست هذه طريقة لائقة تتحدث بها عن أمك .

أرنولد : إنني لن أستطيع أن أعتبرها كأمي .

إليزابث : إن كل ما تأخذه عليها وما لا تنساه لها أنها لم تفكر فيك كابن . لعلك لا تدرى أن المرأة قد تغلب عليها عاطفة الأمومة ، فهى أمّ أولاً ، وقد تطغى عليها الأنوثة فهى أنثى قبل كل شيء ، إن غرامها يبعث الإثارة فى نفسي ، وإذا كانت أمك قد أحبت ذلك

الرجل إلى هذه الدرجة فلا عجب إذا ضحّت باسمها ومركزها وطفلها من أجله .

أرنولد : لذلك لا تتوقعى أن مثل هذا الطفل يشعر بأى حب للأم التى عاملته هذه المعاملة .

إليزابث : كلا ! إنى لا أنتظر منه أن يحبها ؛ ولكنى أرى أنه من دواعى الأسى والأسف ألا يزول الجفاء بينهما بعد كل هذه السنين.

أرنولد : من العسير أن تدركى معنى أن أشب وأكبر تحت ظل هذه الفضيحة المروّعة ، ففى كل مكان : فى المدرسة وفى جامعة أكسفورد وفى لندن بعد ذلك، كان يشار إلىّ دائماً كأبن الليدى كيتى تشينى . . . أوه ! لقد كان ذلك قاسياً مروعاً !

إليزابث : أجل إنى أدرك كل ذلك يا أرنولد لقد كان الموقف فى منتهى الفظاعة بالنسبة لك .

أرنولد : إن الفضيحة فى حد ذاتها كانت فى غاية السوء إلا أن مركز الناس الذين ذُكر اسمهم فيها ضاعف من شناعتها عشرات المرات — لقد كان أبى عضواً فى مجلس العموم وكذلك كان پورتيوس قبـــل أن يرث لقب لورد — كان پورتيوس وزيراً للخارجية

ورجلاً مرموقاً جداً فى أعين الناس عامة .

أنّا : لقد كان والدى يقول دائماً إن پورتيوس أقدر رجل فى الحزب ، وكل إنسان كان ينتظر أن يصبح رئيساً للوزراء .

أرنولد : لكِ أن تتخيلى إذن كم أتاحت هذه الفضيحة فرصة للشعب البريطانى لم ينعم بمثلها منذ أجيال . لقد أصبحت أحب الأغانى إلى الشعب وأكثرها انتشاراً تدور حول أمى . ألم تسمعى بها ؟ « إن ليدى كيتى الشريرة ظنت أنه من دواعى الأسى » ....

إليزابث : [مقاطعة] أوه ! أرنولد بربك كفى .

أرنولد : وبرغم كل ذلك فلم يعطوا الشعب فرصة لينسى فضيحتهم . فلو أنهم عاشوا بهدوء فى فلورنسا ، ولم يثيروا ضجة لهدأت العاصفة وماتت الفضيحة ؛ ولكن قضايا الطلاق المستمرة بين اللورد والليدى پورتيوس أبقت على الفضيحة فى أذهان الناس .

تدى : بخصوص أى شىء كانت هذه الإجراءات القضائية ؟

أرثولد : لقد طلّق والدى زوجته بطبيعة الحال ، ولكن الليدى پورتيوس رفضت أن تطلب

الطلاق من زوجها ، ولهذا أراد أن يجبرها على طلب الطلاق منه فرفض أن يعولها كما طردها من بيته ، وأوقع بها الكثير من المضايقات ولذا كانا دائمى النزاع فى ساحات القضاء .

أنا : أعتقد أن هذا تصرف فظيع من الليدى پورتيوس .

أرنولد : لقد كانت تعلم أنه ينوى الزواج من أمى ؛ ولذا كانت تكره أمى ولا يلومها إنسان على ذلك

أنا : لقد جعلت الحياة قاسية جداً عليهما .

أرنولد : أجل ! وهذا سبب سكناهما فى فلورنسا فپورتيوس رجل غنى ، وهناك وجدوا من الناس من يقبلون الوضع على علاته .

إليزابث : وهذه هى أول مرة يحضران فيها إلى انجلترا.

أرنولد : إن والدى يجب أن يحاط علماً بذلك يا إليزابث .

إليزابث : أجل .

أنا : [مخاطبة إليزابث] ألم يذكر لك أى شىء بخصوص الليدى كيتى ؟

إليزابث : أبداً .

أرنولد : لا أظن أن اسمها قد جرى على لسانه منذ

أن هربت من هذا البيت منذ ثلاثين سنة .

تدى : وهل كانا يعيشان هنا ؟

أرنولد : بالطبع . لقد دعوا بعضاً من الأصدقاء بضعة أيام فى المنزل ، وذات ليلة لم تنزل والدتى ولا اللورد پورتيوس لتناول طعام العشاء ، ورغم أن باقى الضيوف قد طال انتظارهم لها إلا أنهم لم يدركوا حقيقة ما حدث إلا عندما أرسل والدى رسولاً إلى حجرة والدتى فوجد رسالة منها تركتها مثبتة فى وسادة الدبابيس .

إليزابث : [فى ابتسامة باهتة] : هذا ما كانوا يفعلونه فى العصور المظلمة .

أرنولد : إنى أعتقد أن والدى قد كره هذا البيت منذ تلك الليلة الرهيبة ، فلم يسكن فيه ثانية أبداً ، وعندما تزوجت تنازل لى عنه ، أما هو فقد بنى لنفسه كوخاً فى أملاكه القريبة من هنا يأتى إليه حينما يرغب فى ذلك .

إليزابث : لقد كان ذلك من حسن حظنا .

أرنولد : إنى مدين بكل شىء لوالدى ، وإنى لأعتقد أنه لن يغفر لنا دعوتنا لهؤلاء الناس للقدوم إلى هنا .

إليزابث : سآخذ اللوم كله على عاتقى يا أرنولد .

أرنولد : [بقلق] إن مجيئهما فيه حرج جداً لى ، على أية حال فلست أدرى كيف يجب علىّ أن أعاملهما ؟

إليزابث : ألا ترى أن المشكلة ستحل نفسها عندما تشاهدهما ؟

أرنولد : على كل حال هم ضيوفى ، وسأحاول أن أتصرف التصرف اللائق برجل مهذب راق فى منزله .

إليزابث : فى منزله الذى لم تدخل فيه وسائل التدفئة الحديثة ! !

أرنولد : [متجاهلا كلامها] : ترى هل تتوقع منى الليدى كيتى أن أقبلها ؟

إليزابث : [مبتسمة] : بكل تأكيد .

أرنولد : إن الناس المتدفقى العاطفة يسببون لى قلقاً دائماً .

أنا : ولكن لا يمكننى أن أفهم لماذا لم ترها أبداً من قبل .

أرنولد : أعتقد أن أمى حاولت رؤيتى عندما كنت صغيراً ، ولكن والدى رأى أنه من الأفضل ألا تفعل ذلك .

أنّا : حسناً ! ولكن عندما كبرت ؟

أرنولد : لقد كانت دائماً فى إيطاليا ، وأنا لم أذهب قط إلى هناك .

إليزابث : يخيل إلى أنه من المحزن حقاً أنكما إذا تقابلتما فى أحد الشوارع فلن يتعرف الواحد منكما على الآخر .

أرنولد : وهل هذه غلطتى ؟

إليزابث : لقد وعدتنى أن تكون رقيقاً معها عطوفاً عليهـا .

أرنولد : لقد كان الخطأ فى دعوة پورتيوس للحضور أيضاً . إننا تصرفنا كما لو كنا قد تجاوزنا عن كل ما حدث وغفرناه لهما . وإنى لفى حيرة كيف يجب علىّ أن أعامله ؟ هل أمد له يداً بالسلام وأربت بالأخرى على ظهره لقد حطم حياة والدى تماماً .

إليزابث : [مبتسمة]: كم تدفع فى حادثة سيارة مفاجئة تمنعهما من الحضور؟

أرنولد : لقد تركتك تعملين ضد رأيى ، وتدعينهما لزيارتنا ، وها أنا لا زلت نادماً على ذلك .

إليزابث : [بدعابة] : من حسن الحظ وجود أنّا وتدى هنا ، فأنا لا أتوقع أى نجاح لحفلنا .

أرنولد : سأبذل كل جهدى . لقد وعدتك ، وسأبـَر بوعدى ، أما عن والدى فلست مسئولاً عنه.

أنّا : ها هو والدك قد حضر .

[يظهر المستر تشامبيون تشينى عند أحد الأبواب الزجاجية المطلة على الشرفة]

كلايف تشينى : هل أستطيع الدخول من باب «الفراندة» أم يجب أن يعلن قدومى خادم رذل متغطرس ؟

إليزابث : تفضل بالدخول . لقد كنا نتوقع مجيئك .

كلايف تشينى : بفارغ الصبر يا عزيزتى ! ! ! آمل ذلك .

[مستر تشامبيون تشينى رجل طويل فى أوائل الستين من عمره ، دب الشيب فى رأسه ، تدل ملامح وجهه على الذكاء والزهد . أنيق جداً فى ملبسه يستغل كل ما حبته الطبيعة به من مزايا . جم النشاط رغم كبر سنه . يقبل إليزابث ثم يمد يده ليحيى أرنولد] .

إليزابث : لقد كنا نعتقد أنك ستقضى شهراً آخر فى باريس .

كلايف تشينى : كيف حالك يا أرنولد ؟ إنى دائماً أحتفظ لنفسى بحق تغيير رأيى ؛ إنها الميزة الوحيدة التى يشترك فيها عجائز الرجال مع السيدات الجميلات .

إليزابث : أظنك تعرف أنّا .

كلايف تشينى : [مسلماً عليها] طبعاً أعرفها . إن من دواعى

سروری أن أراك هنا . . هل ستمكثين طويلاً ؟

أنّا : سأطيل البقاء بقدر الترحاب الذى ألاقيه .

إليزابث : وهذا هو مستر لوتن .

كلايف تشيني : تشرفنا ؟ هل تلعب البريدج ؟

لوتن : أجل .

كلايف تشيني : أرى أنك شاب طيب .

لوتن : ولكنى فقير ، شأنى فى ذلك شأن معظم الناس الطيبين .

كلايف تشيني : لا يهمك الفقر ما دامت مبادئك قويمة .

أرنولد : وهل تنوى البقاء معنا طويلا ياوالدى ؟

كلايف : حتى أتناول معكم طعام الغداء إذا سمحتم لى بذلك .

[ينظر أرنولد إلى إليزابث فى ارتباك ظاهر] .

إليزابث : سيسعدنا ذلك جداً .

أرنولد : لم أكن أقصد ذلك يا والدى ، فلا شك فى أنك ستبقى معنا حتى تتناول طعام الغداء ، ولكنى قصدت سؤالك عن المدة التى تنوى أن تمكثها معنا هنا .

كلايف : أسبوع .

[تسود فترة صمت يبدو فيها كل شخص محرجاً مرتبكاً إلا كلايف تشامبيون تشيني] .

تدى : أرى أنه من الأفضل إلغاء مباراة التنس .

إليزابث : أجل ! خاصة وإنى أرجو من صهرى العزيز أن يخبرنى عن أحدث الأزياء فى باريس هذه الأيام .

تدى : سوف أذهب لأضع مضارب التنس فى مكانها [ثم ينصرف تدى] .

أرنولد : إن الساعة قد قاربت الواحدة يا إليزابث .

إليزابث : لم أعرف أن الوقت متأخر إلى هذا الحد .

أنا : [إلى أرنولد] : ألا تحب أن تتجول معى فى الحديقة بعض الوقت قبل الغداء ؟

أرنولد : [مرحباً بالفكرة] : كم يعجبنى ذلك يا أنا.

[تخرج أنا من باب الشرفة ويتبعها أرنولد ثم يقف متردداً] .

: إنى أريد منك أن تفحص هذا الكرسى الذى اشتريته ، أليس جميلاً ؟

كلايف : مدهش .

أرنولد : لقد صنع فى سنة ١٧٥٠ وتصميمه جميل أليس كذلك ؟ إنه فى حالة جيدة ولم تمتد إليه يد الإصلاح منذ صنعه .

كلايف : جميل جداً .

أرنولد : ألا ترى أنه صفقة رابحة ؟

كلايف : يا ابنى العزيز ، إنك تعلم أننى أجهل هذه الأشياء كل الجهل .

أرنولد : كلى ثقة فى أنه صنع سنة ١٧٥٠ . سأراك على مائدة الغداء يا والدى .

[ثم يتبع أنا من باب الشرفة الزجاجى]

كلايف : من هذا الشاب يا إليزابث؟

إليزابث : إنه مستر لوتن . لقد سرّح من الجيش منذ عهد قريب ، وهو الآن مدير لمزرعة مطاط فى ولايات الملايو المتحدة . لقد تطوّع فى بداية الحرب ، وها هو راجع ثانية إلى وظيفته فى الملايو .

كلايف : ترى لماذا تركنا الجميع بمفردنا بهذه الطريقة المكشوفة ؟

إليزابث : هل تركنا بمفردنا حقيقة؟ إنى لم ألحظ ذلك .

كلايف : أظنه من الصعب على الشاب أن يدرك أن الإنسان قد يكون كهلا دون أن يكون غبياً .

إليزابث : لم يخطر على بالى مطلقاً ، فكلنا يعلم أنك فى منتهى الذكاء .

كلايف : ويجب أن يعتقدوا ذلك ، فطالما رددت الأمر بنفسى . . أتشعرين بشىء من الاضطراب ؟

إليزابث : دعنى أجس نبضى [ثم تضع أصبعها فوق معصمها]
إن نبضى منتظم تماماً .

كلايف : عندما عرضت عليكم البقاء معكم ؛ لتناول طعام الغداء ظهر الامتعاض على أرنولد وكأنه يعانى من شرب جرعة من زيت الخروع .

إليزابث : ألا تتفضل بالجلوس ؟

كلايف : وهل سيسهّل ذلك عليك مهمتك ؟ إنى متأكد أن لديك أخباراً غير سارة تريدين الإفضاء بها إلىّ .

إليزابث : وهل لا يغضبك ذلك ؟

كلايف : كم تبلغين من العمر ؟

إليزابث : خمسة وعشرين عاماً .

كلايف : ما غضبت قط من سيدة يقل سنها عن الثلاثين .

إليزابث : إذن أمامى عشر سنوات أخرى .

كلايف : أنت مدهشة فى الحساب .

إليزابث : كلا . . فى وضع المساحيق على وجهى .

كلايف : حسناً .

إليزابث : أظن أن مهمتى ستصبح أكثر سهولة لو سمحت لى بالجلوس على ركبتيك .

كلايف : إن ذوقك يعجبنى .. إنما حاذرى حتى لا يزداد

وزنك [تجلس على ركبته] .

إليزابث : هل تضايقك نحافتى ؟

كلايف : على العكس ... إنى مصغ إليك .

إليزابث : إن الليدى كاترين قادمة إلى هنا .

كلايف : ومن هى الليدى كاترين ؟

إليزابث : هى زوجة . . . هى أم أرنولد .

كلايف : أهى أمه ! ! [ثم ينسحب إلى الوراء قليلا فتنهض إليزابث واقفة] .

إليزابث : لا تلقى اللوم على أرنولد، فالغلطة غلطتى ، فلقد صممت على دعوتها رغم معارضة أرنولد وظللت ألح عليه حتى استسلم ، وعند ذلك كتبت إليها أدعوها لزيارتنا .

كلايف : لم أكن أعلم أنك تعرفينها .

إليزابث : لم أكن أعرفها ، ولكنى سمعت بوجودها فى لندن ، وبنزولها فى فندق كلازدج ، وخيل إلى أنه من القسوة أن نتجاهل وجودها تماما .

كلايف : ومتى تتوقعين قدومها ؟

إليزابث : إنى أترقب حضورها الآن لتتناول طعام الغداء معنا .

كلايف : أبهذه السرعة ؟ لقد أدركت الآن سر ارتباككم .

إليزابث : أظنك تعلم أننـــا لم نكن نتوقع مطلقا أن تأتى إلى هنا . إذ أنك سبق أن أخبرتنا بعزمك على قضاء شهر آخر فى باريس .

كلايف : يا ابنتى العزيزة ، هذا بيتك ولست أجد ما يمنعك من دعوة من تشائين من الناس لزيارتك ، وقضاء بعض الوقت معك .

إليزابث : ومع كل فمهما تكن أخطاؤها . فهى أم أرنولد ، وأعتقد أنه ليس من الطبيعى ألا يرى الواحد منهما الآخر . إن قلبى ليدمى من أجل هذه السيدة المسكينة الوحيدة.

كلايف : لم أسمع قط عن أنها وحيدة كما أنها ليست مسكينة قطعاً .

إليزابث : وهناك أمر آخر . فما كنت أستطيع دعوتها بمفردها فقد يبدو ذلك . . . مهينا لها . . . ولهذا اضطرت إلى دعوت اللورد پورتيوس أيضاً .

كلايف : لقد فهمت .

إليزابث : أتسمح لى بالقول إنه من الأفضـــل ألا تقابلهما ؟

كلايف : أتسمحين لى بالقول بأنهما قد يفضلان عدم مقابلتى . سأتناول الغداء فى الكوخ فقد

وجدت بالتجربة أنه في الإمكان الحصول على أفضل الأطعمة إذا ما وصلت فجأة وشاركت الخدم طعامهم في قاعة الخدم .

إليزابث : لم يسبق لأحد أن حدثني عن الليدي كيتي فقد كان كل إنسان يتجنب ذكرها أو التحدث عنها ، كما أني لم أر لها أية صورة فوتوغرافية .

كلايف : لقد كان المنزل مليئا بصورها عندما تركته وعلى ما أذكر قد طلبت إلى رئيس الخدم بأن يلقي بصورها إلى صنفيحة القمامة . . . وما كان أكثر صورها !

إليزابث : وماذا كان شكلها في ذلك الوقت ؟

كلايف : لقد كانت تشبهك يا إليزابث إلى حد كبير ، فقط كان لون شعرها أسود ، أما لون شعرك فهو أحمر .

إليزابث : يا للمسكينة ! لعل لون شعرها قد أصبح ناصع البياض الآن .

كلايف : لقد كانت على جانب من الجمال .

إليزابث : ولكنها كانت من أجمل سيدات عصرها ، وكان الجميع يعبدونها .

كلايف : لقد كان لها أجمل وأدق أنف ، إنه يشبه أنفك كثيراً .

إليزابث : وهل يعجبك أنفى ؟

كلايف : لقد كانت فى منتهى الرقة ولها جسم صغير جميل ، كما كانت رشيقة خفيفة الحركة ، أجل لقد كانت فى منتهى الظرف .

إليزابث : إنى متأكدة أنها لاتزال جميلة ظريفة .

كلايف : إنها لم تعد صغيرة السن كما تعلمين يا إليزابث .

إليزابث : لعلك لا تنتظر منى أن تكون نظرتى لها شبيهة بنظرتك ، أو نظرة أرنولد . لو أنك أحببت كما أحبت ، لتقدم بك العمر وأنت محتفظ بجمالك .

كلايف : إنك عاطفية جدا يا إليزابث .

إليزابث : لو أن كل إنسان لم يتخذ من فعلتها لغزا غامضاً ، وسرا خفياً ؛ لكان من الجائز أن يتغير شعورى نحوها عنه الآن . إنى أقر أنها قد أساءت إليك كما أساءت إلى أرنولد أكبر إساءة ممكنة ، فهذا مما لا شك فيه . وإننى أعترف بذلك .

كلايف : لعمرى إن هذا فضل منك عظيم .

إليزابث : ولكنها أحبت واستمدت من حبها جرأة وشجاعة . للحب هالة خلابة نقرأ عنها فى الكتب كثيرا ، ولكننا قلما نقابلها وجها لوجه فى

الحقيقة والواقع . إن الحب يثير نفسي وكياني رغم إرادتي .

كلايف : ولكن الحقيقة المؤلمة، هي أن الزوج المخدوع في كل هذه الحالات ليس شخصا عاطفيا .

إليزابث : لقد كان العالم كله تحت موطئ أقدامها . فأنت غني واسع الثراء ، وهي ذات مركز مرموق في المجتمع ؛ ولكنها رغم ذلك قد ضحت بكل شيء في سبيل الحب .

كلايف : [بجفاء] : لقد بدأت أشك أن دعوتك لها لزيارتك هنا لم تكن من أجلها أو من أجل أرنولد .

إليزابث : يخيل إلى أني أعرفها . قبل أن أراها وإني لأتصور وجهها الجميل ، وقد علته مسحة من الكآبة والحزن . فإن حبا في قوة حبها لا يترك الإنسان مرحا بل وقورا مهيبا كما يبدو لي وجهها الشاحب في سماحة وجه الطفل وبراءته .

كلايف : ياعزيزتي إليزابث ! لِمَ تسمحين لخيالك الخصب أن يسرح بك إلى هذا الحد ؟

إليزابث : إني لأتخيلها صغيرة الجسم . . . رقيقة .

كلايف : رقيقة بكل تأكيد .

إليزابث : أما يداها فنحيفتان جميلتان. وشعرها أبيض ناصع البياض . لقد طالما صورتها فى خيالى وهى تجلس فى قصرها الذى تعيش فيه ، والصور الجميلة تغطى جدرانه ، وهى فى ملابسها الحـــريرية السوداء المطرزة بالدانتل وقلائد الماس تلتف حول جيدها . لعلك لا تعلم أنى لم أعرف لى أماً فى حياتى ؛ فقد ماتت وأنا طفلة صغيرة ؛ كما أن عماتى ولهن عائلاتهن الخاصة لم تستطع واحدة منهن أن تكون لى أما مكانها ؛ لهذا أريد أن تكون أم أرنولد أما لى أيضا ، فلدى الشئ الكثير الذى أريد أن أفضى به إليها .

كلايف : هل أنت سعيدة مع أرنولد ؟

إليزابث : ولم لا أكون سعيدة معه ؟

كلايف : إذا لماذا لا تنجبا أطفالا حتى الآن ؟

إليزابث : أمهلنا بعض الوقت فلم يمض على زواجنا سوى ثلاث سنين .

كلايف : ترى ما شكل هيوى الآن ؟

إليزابث : أتقصد اللورد پورتيوس ؟

كلايف : أجل لقد كان أكثر الناس أناقة فى لندن. ولو أنه استمر على صلة بالسياسة لأصبح رئيساً للوزراء .

إليزابث : وماذا كان شكله فى ذلك العهد ؟

كلايف : لقد كان شاباً وسيما حسن المنظر وفارساً لا يشق له غبار، كما كانت له جاذبية خاصة. أصفر الشعر وأزرق العينين، كما كان متين البنيان ممشوق القوام، وكنت أحبه فقد كنت — كما تعلمين — سكرتيره البرلمانى، كما كان پورتيوس عراب أرنولد .

إليزابث : إنى أعلم ذلك .

كلايف : إنى لأعجب ، ألم يندم على ما فعل ؟

إليزابث : لو كنت مكانه لما ندمت .

كلايف : حسناً : يجب أن أرجع الآن إلى كوخى .

إليزابث : هل أنت غاضب منى ؟

كلايف : كلا ! إطلاقاً .

[تقدم له وجهها ليقبله فيقبلها على وجنتها، ثم يخرج وبعد لحظة تشاهد تدى خلف النافذة الزجاجية]

تدى : لقد رأيت العجوز المتعب وهو ينصرف .

إليزابث : ادخل .

تدى : هل كل شىء على ما يرام ؟

إليزابث : أجل على الأقل فيما يختص به . سيبقى بعيداً عن هنا .

تدى : هل كان الأمر شاقاً عليك ؟

إليزابث : كلا لقد سهل المهمة على كثيراً ، إنه عجوز ظريف .

تدى : ولكنك كنت خائفة .

إليزابث : قليلا . بل وما زلت خائفة .. لا أدرى لماذا .

تدى : خمنت ذلك ، وكنت على وشك الدخول لأرفع من روحك المعنوية . إن الحياة هنا مدهشة ، أليس كذلك ؟

إليزابث : نعم لطيفة .

تدى : سيكون من دواعى سرورى أن أفكر فى كل ذلك عندما أعود إلى الملايو .

إليزابث : ألا تشعر بالحنين إلى الوطن أحياناً ؟

تدى : بالطبع فكل إنسان يشعر بالحنين إلى الوطن بين كل حين وآخر كما تعلمين .

إليزابث : كان فى إمكانك الحصول على وظيفة هنا فى انجلترا لو أردت ، أليس كذلك ؟

تدى : ولكنى أحب الحياة هناك . إن من أجمل الأمانى أن يفكر الإنسان فى العودة إلى انجلترا . . إلا أننى رغم ذلك لا أستطيع الحياة فيها . إن انجلترا تشبه السيدة التى يهيم الإنسان بها حباً ما دام بعيداً عنها ، إلا أنه حين يقابلها تثير

أعصابه لدرجة الجنون ، فلا تجد مندوحة من الابتعاد عنها .

إليزابث : [باسمة] : وما الذى تأخذه على انجلترا من نقائص ؟

تدى : لست أجد فى انجلترا من الأخطاء ما أعيبه عليها ، بل لعل العيب فىّ أنا شخصياً . لقد عشت بعيداً عنها مدة طويلة ، ويخيل إلىّ أن انجلترا اليوم مليئة بأناس يؤدون أعمالاً لا يرغبون فى أدائها ، لا لشىء إلا لمجرد أن غيرهم من الناس يتوقعون منهم فعلها .

إليزابث : أليس ذلك ما تسميه درجة عالية من المدنية؟

تدى : يخيل إلى أن الإخلاص قد انعدم بين الناس هنا ، فعندما تذهبين إلى الحفلات فى لندن تسمعين الناس كلهم يتحدثون عن الفن رغم وثوقك أنهم فى قرارة نفوسهم لا يهتمون بالفن فى قليل أو كثير . ثم إنهم يقرأون الكتب التى يتحدث عنها المجتمع لأنهم فقط لا يريدون أن يكونوا متخلفين عن الآخرين . أما فى الملايو فليست لدينا كتب كثيرة ولكننا نقرأها كلها بدل المرة الواحدة مرات عديدة ، لأنها فى منتهى الأهمية

لنا . إن نصيب الذين يعيشون هناك من الذكاء قد لا يعادل نصف نصيب الذين يعيشون فى انجلترا ؛ ولكن الإنسان هناك يعرفهم على حقيقتهم . نحن هناك قلة ويتحتم على الواحد منا أن يعمل لما فيه سعادة الجميع .

إليزابث : أظن أن الثياب ذات الحواشى والذيول لا تلبس هناك بكثرة فى الملايو ، وفى هذا راحة تامة للجميع .

تدى : لاجدوى من التظاهر والادعاء فى الملايو لأن كل إنسان يعلم تماماً من أنت ، وكم يبلغ دخلك . .

إليزابث : من رأيى أن الإخلاص الزائد فى المجتمع غير مرغوب فيه فإنه سيصبح بمثابة « كرة » من الحديد فى منزل من الورق .

تدى : وعندما تتعودين على السماء الصافية ، والشمس المشرقة فى الملايو فإنك ستفتقدين ذلك فى انجلترا ولن تعجبك بعد .

إليزابث : وكيف يتسنى لك قضاء كل هذا الوقت الطويل ؟

تدى : إن الواحد ليعمل ويكد اليوم كله ، ولاتنسى

أنه لكى يكون الإنسان مزارعاً ناجحاً عليه أن يكون قوياً مفتول العضل ، ثم أمامك الاستحمام فى البحر تحت أشجار النخيل التى تظلل الشاطئ ثم الصيد ، وبين كل حين وآخر ، نقيم حفلة راقصة على أنغام الحاكى [الجرامفون]

إليزابث : [محاولة معاكسته]: أعتقد أن لك فتاة جميلة هناك يا تدى .

تدى : [بحماس وقوة] أوه ! كلا ! كلا !

[تدهش إليزابث قليلا عند ما ترى حماس تدى فى نفى التهمة عن نفسه ثم يعقب ذلك صمت يدوم لحظة تسترجع فيها هدوءها]

إليزابث : ولكن سيكون عليك أن تتزوج وتستقر هناك يوماً ما .

تدى : إنى أرغب فى ذلك ولكن هذا موضوع لا يمكن البت فيه بمثل هذه البساطة .

إليزابث : لست أرى سبباً ، لماذا يكون الزواج هناك أصعب منه فى أى مكان آخر ؟

تدى : فى انجلترا ، عندما لا ينجح الزواج يتخذ كل من الزوجين طريقه فى الحياة حسب ما يهوى ، وتظل الرابطة الزوجية بينهما كما هو المتبع الآن ، أما هناك فعلى السيدة أن

تعتمد كل الاعتماد على نفسها ، وعلى مواردها الخاصة .

إليزابث : بالطبع .

تدى : لقد جاء إلى الملايو نساء كثيرات ، وكل أملهن أن يقضين فيها حياة سعيدة ، ولكن متى كانت عقلياتهن تافهة فسرعان مايصدمن بهذا الفراغ ، وفى هذا القضاء عليهن . فإن كان الأزواج على شيء من الغنى أرسلوهن إلى أوطانهن حيث يقضين بقية العمر زوجات مهجورات .

إليزابث : لقد قابلت بعضهن ، ويظهر لى أنهن يجدن فى ذلك حرفة مستطابة .

تدى : إن ذلك شنيع بالنسبة لأزواجهن .

إليزابث : وإذا لم يكن الأزواج أغنياء ؟

تدى : الانحدار والإدمان على الخمر .

إليزابث : إن مستقبلا كهذا ، لن يغرى أحداً بالذهاب إلى هناك .

تدى : ولكن إذا كانت المرأة من النوع الصحيح اللائق لرفضت أن تستبدل حياتها هناك بأى حياة أخرى فى أى بقعة من بقاع العالم ، وفوق كل هذا وذاك ، فإنا نحن الذين صنعنا

الإمبراطورية البريطانية وخلقناها .

إليزابث : وأى نوع من النساء هو النوع الصحيح اللائق ؟

تدى : السيدة الشجاعة الصبور المخلصة ، وبالطبع لن تجدى كل هذه الصفات ما لم تكن الزوجة شديدة الحب لزوجها .

[يطيل النظر إليها فى اهتمام زائد . . ترفع عينيها إليه وتطيل النظر ثم يسود بينهما الصمت]

تدى : إن بيتى يقوم على جانب التل ، وتمتد أشجار جوز الهند بينه وبين ساحل البحر . كما تنمو الورود والأزهار والرياحين الجميلة فى حديقتى ، وأمام منزلى يمتد شاطئ البحر المتعرج ومياهه الزرقاء الصافية [فترة انتظار] أتعلمين أنى أحبك الحب كله ؟

إليزابث : [ساهمة واجمة] لم أكن متأكدة من ذلك

تدى : وأنت ! أتحبيننى ؟ [تومئ برأسها ببطء] إنى لم أقبلك حتى الآن .

إليزابث : ولا أريدك أن تقبلنى .

[ينظران إلى بعضهما بثبات وكلاهما ساهم واجم . يدخل أرنولد فى عجلة ولهفة]

أرنولد : إنهم قادمون يا إليزابث !

إليزابث : [كما لو كانت راجعة من عالم آخر بعيد] : من ؟

أرنولد : [بصبر نافد] أوه ياعزيزتى ! أمى بالطبع
إن السيارة قادمة على الطريق .

تدى : أتحب أن أنسحب من هنا لأخلى لكم المكان؟

أرنولد : كلا ! كلا ! بل ابق بحق السماء .

إليزابث : من الأفضل أن نذهب لنقابلهم يا أرنولد

أرنولد : كلا ! أرى من الأفضل أن ننتظر حتى
يعلن رئيس الخدم قدومهم . إنى أكاد أجن
من الارتباك والاضطراب .

[تدخل أنا من الحديقة]

أنا : لقد وصل ضيوفكم الآن .

إليزابث : أعلم ذلك .

أرنولد : لقد أعطيت الأمر بأننا سنتناول طعام الغداء
فوراً .

إليزابث : لماذا؟ إن الساعة لم تبلغ الواحدة والنصف بعد !

أرنولد : فكرت فى أن ذلك قد يساعدنا . فعندما
لا نعرف بالضبط ما نقول يمكننا أن نمضى
الوقت فى تناول الطعام .

[يدخل رئيس الخدم ويعلن]

رئيس الخدم : ليدى كاترين تشامبيون تشينى .
اللورد پورتيوس .

[تدخل ليدى كيتى ويتبعها پورتيوس ، وينصرف
رئيس الخدم . ليدى كيتى سيدة مرحة صغيرة الحجم

تصبغ شعرها باللون الأحمر ، وتغطى وجنتيها المساحيق .
وملابسها خليعة ، وكأنها لم تنس أنها كانت فى شبابها
ذات حسن وجمال ، وتتصرف كما لو كانت لا تزال
فى الخامسة والعشرين من عمرها . لورد پورتيوس
عجوز أصلع جداً ، وملابسه غريبة غير متجانسة فضفاضة
ينم شكله عن سرعة البديهة والصرامة فى الخلق : لم تكن
اليزابث تتوقع أن تراهما بهذا الشكل ولهذا ظلت تحملق
فيهما بعينين زائغتين . تتقدم ليدى كيتى نحوها مادة يديها]

ليدى كيتى : إليزابث ! إليزابث ! [ثم تقبلها بشوق ولهفة]
يالك من مخلوقة فاتنة ! [ثم تنظر إلى پورتيوس]
هيوى أليست جميلة فاتنة ؟

پورتيوس : [فى صوت أجش] : ياه !

[اليزابث – باسمة الآن – تتجه نحوه وتمديدها إليه]

إليزابث : تشرفنا ؟

پورتيوس : إن الطرق هنا متعبة ملعونة . تشرفنا ياعزيزتى
لماذا أجد كل الطرق فى انجلترا متعبة
لعينة ؟

[تقع عينا ليدى كيتى على تدى فتتجه إليه وذراعاها
إلى الخلف وعلى استعداد لأن تلقيهما عليه وتلفهما حوله]

ليدى كيتى : ولدى ! ولدى ! إنى لأعرفك فى أى مكان
كنت !

إليزابث : [مسرعة] هذا هو أرنولد .

ليدى كيتى : [دون أى تردد] إنه صورة من والده !

إنى لأعرفه فى أى مكان يكون !
[ثم تلف ذراعيها حول عنقه] ولدى ! ولدى !

پورتيوس : [فى صوت أجش غليظ] ياه ! ياه ! .

ليدى كيتى : بربك خبرنى يا أرنولد ، أكنت تتعرف علىّ
هل تغيرت كثيرا ؟

أرنولد : لقد كنت فى الخامسة من عمرى فقط — كما
تعلمين — عندما عندما .....

ليدى كيتى : [بحنان وانفعال] إنى لأذكر ذلك كما كان
بالأمس . لقد ذهبت إلى حجرتك [ثم تتغير
لهجتها فجأة] وبالمناسبة لقد كنت دائمة الظن
أن المربية تدمن شرب الخمر ، هل تأكدت
إذا كانت حقيقة تشرب الخمر أم لا ؟

پورتيوس : كيف تنتظرين منه بحق الشيطان أن يعرف
ذلك وهو طفل فى الخامسة من عمره يا كيتى ؟

كيتى : لم يكن لك أى طفل طول حياتك ياهيوى !
فكيف يمكنك أن تقول ما يعرفه الأطفال
ومالا يعرفون ؟

إليزابث : [تتقدم لإنقاذ الموقف] : هذا هو أرنولد .
اللورد پورتيوس .

پورتيوس : [مسلماً عليه] تشرفنا ؟ إنى أعرف والدك .

أرنولد : أجل .

پورتيوس : ألا زال حيا ؟

أرنولد : نعم .

پورتيوس : لابد أنه أصبح عجوزا . أهو فى صحة جيدة ؟

أرنولد : جـــدا .

پورتيوس : ياه ! ياه ! إنه يعتنى بصحته على ما أظن . أما أنا فلست بخير ، فإن هذا الطقس اللعين لا يلائمنى .

إليزابث : [لليدى كيتى] هذه مسز شينستون وهذا مستر لوتن أرجو ألا يكون لديك أى أعتراض على هذا الحفل الصغير .

ليدى كيتى : [مسلمة على مسز شينستون وتدى] أوه ! كلا . بل إنى سأستمتع بصحبتهم ، لقد كنت متعودة على إقامة حفلات هائلة هنا . حفلات سياسية كما تعلمين . لقد جعلتم هذه الحجرة فى منتهى الجمال !

إليزابث : الفضل فى ذلك لأرنولد .

أرنولد : [بعصبية] أتحبين هذا الكرسى ؟ لقـــد اشتريته الآن فقط . إنه أثرى .

پورتيوس : [بخشونة وجفاف] : إنه مقلد .

أرنولد : [كمن جرحت كرامته] لا أعتقد أبدا أنه تقليد .

پورتيوس : كما أن أرجله ليست مضبوطة .

أرنولد : لست أدرى كيف تقول ذلك . إن أرجل هذا الكرسى هى أحسن وأضبط ما فيه .

ليدى كيتى : أنا متأكدة أن الأرجل مضبوطة .

پورتيوس : ليست لديك أية معلومات بخصوص هذا الموضوع يا كيتى .

ليدى كيتى : هذا رأيك . أن هذا الكرسى فى منتهى الجمال [ثم تلتفت إلى اليزابث] إنى أتذكر فى إحدى المرات التى مثلت فيها .. هل تمثلين يا عزيزتى ؟

إليزابث : كلا ! لا يمكننى ذلك .. إن أعصابى قد تخوننى .

ليدى كيتى : إنى لا أشكو من اضطراب الأعصاب أبدا . لقد خلقت ممثلة ، ولو قدر لى أن أرجع عهد الشباب لاعتليت خشبة المسرح ، إن الممثلات هن أقدر الناس على الاحتفاظ بشبابهن كما تعلمين ، ولعل مرجع ذلك إلى أنهن يقمن بتمثيل أدوار مختلفة متعددة . هيوى ! هل تعتقد أن أرنولد يشبهنى أم يشبه والده ؟ إنى واثقة أنه صورة منى . أرنولد ! أعتقد أنه من واجبى أن أخبرك

أن الكنيسة الكاثوليكية قد قبلتنى فى الشتاء الماضى ، ولقد ظللت أفكر فى هذا الأمر سنين عديدة ، وفى آخر مرة كنا فى مونت كارلو قابلت رجلا ظريفا من رجال الدين وشكوت له متاعبى فكان تصرفه معى مدهشا عجيباً ، ولكنى لما كنت أعلم أن پورتيوس لن يوافق فقد احتفظت بالأمر سرا بينى وبين نفسى [ثم توجه الكلام إلى اليزابث] هل تهتمين بالديانة ياعزيزتى ؟ إنها مدهشة لابد وأن نتحدث طويلا فى هذا الخصوص ذات يوم [ثم تشير إلى معطفها] هل فصّله لك « كالوت » ؟

إليزابث : كلا بل « ورث » .

ليدى كيتى : لقد كنت أعلم أنه إما أن يكون « كالوت» أو «ورث»وطبعا ما يهم هو التصميم . ماذا دهاك يا هيوّى ؟

پورتيوس : إن طقم أسنانى الجديد يتعبنى جدا .

ليدى كيتى : عجيب أمر هؤلاء الرجال فهم لا يقدرون على تحمل أقل مضايقة ، بينما نرى حياة المرأة منذ أن تصحو من نومها فى الصباح الباكر حتى تأوى إلى فراشها فى الليل

سلسلة متصلة الحلقات من المضايقات والمتاعب ، وحتى أثناء نومها هل تظن أن المرأة تنعم بنوم والقناع (مراهم التجميل) على وجهها ؟

پورتيوس : إن الأسنان ليست ثابتة تماما فى فمى .

ليدى كيتى : ليس فى أسنانك أى عيب ؛ إنما العيب فى لثتك .

پورتيوس : إن العيب فى طبيب الأسنان الجاهل اللعين .

ليدى كيتى : إنى أعتقد أنه طبيب أسنان ظريف جدا ، لقد قال لى إن أسنانى ستظل سليمة حتى أبلغ الخمسين من عمرى ، إن لديه حجرة على الطراز الصينى فى منتهى الفخامة ، وإنه ليسرى عن مرضاه أثناء تنظيفه لأسنانهم فيحكى لهم عن الأمبراطورة الارملة ، أتهتمين بالصين ؟ أعتقد أنها مدهشة . . أتعلمين أنهم يقصون ضفائرهم الآن . يا للخسارة إن هذا الأمر يدعو للأسى والأسف فقد كان منظرهم فى منتهى الروعة والحسن

[يدخل رئيس الخدم]

رئيس الخدم : إن طعام الغداء قد أعد ياسيدى !

إليزابث : هل تريدون رؤية حجرات النوم الآن ؟

پورتيوس : يمكننا رؤيتها بعد الغداء .

ليدى كيتى : أريد استكمال زينتى يا هيوى .

پورتيوس : استكملى زينتك هنا .

ليدى كيتى : لم أر فى حياتى أحداً يماثلك فى قلة الاهتمام .

پورتيوس : سنضطر إلى انتظارك أكثر من نصف ساعة فأنا أعرفك تماما .

ليدى كيتى : [تبحث فى حقيبتها] : أوه ! حسنا ! فلأشترى السلام بأى ثمن ، كما قال اللورد بيكونز فيلد

پورتيوس : لقد قال الكثير من الكلام الأجوف الذى لا معنى له يا كيتى ، ولكنه لم يقل هذا الجملة قط [يتغير وجه ليدى كيتى فيبدو عليه الارتباك ثم الامتعاض ثم الهياج والكدر]

ليدى كيتى : يا الله !

إليزابث : ماذا حدث ؟

ليدى كيتى : [متألمة] صابغ الشفاه ! .

إليزابث : ألا يمكنك العثور عليه ؟

ليدى كيتى : لقد كان معى فى السيارة . هيوى ؛ ألا تتذكر أنه كان معى فى السيارة ؟

پورتيوس : إنى لا أذكر عنه شيئا

ليدى كيتى : لا تكن غبياً يا هيوى ! ألا تذكر أننا عندما اجتزنا البوابة الخارجية هتفت قائلة :

بيتى ! بيتى ! ثم أخرجت أصبع الشفاه
ووضعت منه على شفتى ؟ !

إليزابث : لعله قد سقط منك فى السيارة .

ليدى كيتى : بحق السماء أرسلى من يبحث لى عنه .

أرنولد : سأدق الجرس .

ليدى كيتى : لا أدرى كيف أعيش بدون أصبع الشفاه !
ألا يمكنك إعارتى أحمر شفاهك ياعزيزتى ؟

إليزابث : كلى أسف فليس لدى أى أصبع للشفاه .

ليدى كيتى : هل أفهم من ذلك أنك لا تستعملين أصابع
الشفاه .

إليزابث : قطعياً .

بورتيوس : انظرى إلى لون شفتيها ! فما حاجتها بحق
الشيطان لهذا « الزفت » الذى تطلى به الشفاه

ليدى كيتى : أواه يا عزيزتى ، إنك سترتكبين غلطة
لاتغتفر يجب أن تستخدميه ، فهو مفيد للشفاه
كما أن الرجال يفضلونه كثيراً . إنى لايمكننى
الحياة بدون أصبع الشفاه .

[ويظهر كلايف تشامبيون تشينى ممسكاً فى يده الممدودة
علبة ذهبية صغيرة]

كلايف [وهو يدخل الحجرة] هل فقد أحد منكم آنية
صغيرة تحتوى — مالم أكن مخطئا — على

آداة من أدوات الزينة ؟

[أرنولد واليزابث يصعقان عند رؤيته ، وحتى أنا وتدى تأخذهما الدهشة ، ولكن ليدى كيتى يغمرها الفرح]

ليدى كيتى : إنه أصبع شفتى .

كلايف : لقد وجدته فى الطريق وتجاسرت على إحضاره .

ليدى كيتى : إنه القديس أنطوان . لقد رفعت له صلاة قصيرة عندما كنت أبحث فى حقيبتى .

پورتيوس : ليس القديس أنطوان ؛ ولكنه كلايف !

ليدى كيتى : [تفزع ثم تنظر إليه وتهتف] كلايف .

كلايف : إنك لم تعرفينى . لقد مضت سنوت عديدة منذ آخر مرة تقابلنا فيها .

ليدى كيتى : يا لكلايف المسكين ! لقد أصبح شعرك أبيضاً ناصع البياض .

كلايف : [مادا يده] : أرجو أن تكون الرحلة من لندن إلى هنا سارة مريحة .

ليدى كيتى : [مقدمة له خدها] لك أن تقبلنى يا كلايف !

كلايف : [يقبلها] : إذا لم يكن لديك أى مانع يا هيوى ؟

پورتيوس : [فى صوت أجش] ياه ! ياه ! . . . . . .

كلايف : [يذهب إليه فى محبة] : وكيف حالك ياعزيزى
هيوّى ؟

پوتيوس : إنى أشكو من الروماتزم اللعين إذا كان
يهمك أن تعلم أن الطقس لعين فى هذه البلد .

كلايف : ألا تريد أن تصافحنى يا هيوّى ؟

پورتيوس : لا اعتراض على مصافحتى لك .

كلايف : لقد كبرت وشخت يا هيوّى المسكين .

پورتيوس : لقد سألنى بعض الناس عن عمرك منذ فترة
قريبـــة .

كلايف : وهل عرتهم الدهشة عندما قلت لهم عن سنى؟

پورتيوس : دهشوا ! دهشوا فعلا عندما علموا أنك
لم تمت بعد [يدخل رئيس الخدم] .

رئيس الخدم : هل دققت الجرس ياسيدى ؟

أرنولد : كلا ! أوه نعم لقد دققت الجرس ، ولكن
لا يهم ذلك الآن .

كلايف : [أثناء انصراف رئيس الخدم] انتظر لحظة .
ياعزيزتى إليزابث ، إنى ألجأ إلى كرمك
فإن خدمى فى شغل عنى بشئونهم الخاصة
ولم أجد فى الكوخ ما آكله .

إليزابث : سيسعدنا جدا أن تتناول الغداء معنا .

كلايف : إما تناول الغداء معكم ، وإما الموت جوعا

أرجو ألا يكون لديك مانع يا أرنولد ؟

أرنولد : يا والدى العزيز !

إليزابث : [لرئيس الخدم] إن المستر كلايف تشيني سيتناول الغداء معنا .

رئيس الخدم : حسن جداً يا سيدتى .

كلايف : [لليدى كيتى] : وما رأيك فى أرنولد ؟

ليدى كيتى : إنى أعبده .

كلايف : لقد كبر ! أليس كذلك ؟ ولكنك كنت تتوقعين منه ذلك بعد ٣٠ سنة

أرنولد : بربك يا إليزابث ! هلمى بنا ندخل لنتناول طعام الغداء .

الفصل الثالث

المنظر

هو نفس منظر الفصل الأول . والوقت بعد الظهر عند ما ترتفع الستار نرى پورتيوس وليدى كيتى ، أنا وتدى يلعبون البريدج . اليزابث وكلايف تشامبيون تشينى يتفرجان . پورتيوس وليدى كيتى شريكان

كلايف تشينى : متى يرجع أرنولد يا إليزابث ؟

إليزابث : أظنه سيرجع حالا .

كلايف : هل يخطب فى اجتماع انتخابى ؟

إليزابث : كلا ! إنه مجرد اجتماع عادى مع وكيله وواحد أو اثنين من الناخبين .

پورتيوس : [بقلق] كيف يتسنى للإنسان أن يلعب البريدج بينما الناس من حوله يصيحون بأعلى صوتهم ؟ أنا شخصياً لا أستطيع ذلك .

إليزابث : [مبتسمة] إنى آسفة جداً .

أنّا : إننى أستطيع أن أرى كل الأوراق التى فى يدك يالورد پورتيوس .

پورتيوس : قد تستفيدين من ذلك .

ليدى كيتى : لقد طالما أوصيتك المرة بعد المرة أن تمسك بأوراقك إلى فوق ، إن اللعبة تفقد لذتها إذا وجد اللاعب نفسه مضطرا إلى رؤية الأوراق التى فى يد خصمه .

پورتيوس : إن أحداً لا يجبرك على النظر إلى أوراق خصمه .

ليدى كيتى : كم كان عدد الأصوات التى فاز بها أرنولد على منافسه فى الانتخاب الأخير ؟

إليزابث : لقد فاز بأغلبية سبعمائة صوت وبضعة أصوات

پورتيوس : إن عليه أن يكافح ويناضل من أجل الفوز إذا كان يريد الاحتفاظ بمقعده فى الانتخاب القادم

پورتيوس : هل نحن نلعب البريدج أم نتحدث فى السياسة؟

ليدى كيتى : إن هذا الحديث لا يعوقنى عن اللعب ؟

پورتيوس : لأنك لا تلعبين وأنت تتحدثين أسوأ مما تلعبين وأنت صامتة .

ليدى كيتى : أعتقد أن فى كلامك هذا إهانة لى ياهيوى ألأننى لا ألعب بنفس طريقتك التى تلعب بها تظن أنى أجهل اللعب ؟

پورتيوس . يسعدنى اعترافك بأنك لاتلعبين بنفس الطريقة التى ألعب بها ، ولكن لماذا بحق الآلهة تسمين ما تلعبينه بريدجا ؟

كلايف : إنى أتفق مع كيتى . إنى أكره الناس الذين يلعبون البريدج كما لو كانوا يمشون فى جنازة وأرجلهم تغوص فى الماء والوحل .

پورتيوس : إنك بلا شك تقف بجانب كيتى وتنحاز إلى صفها .

ليدى كيتى : إن هذا أقل ما يمكنه عمله .

كلايف : إننى بطبعى أميل إلى المرح .

پورتيوس : ولم يحدث لك فى حياتك ما يعكر عليك طبيعتك المرحة .

ليدى كيتى : لست أدرى ماذا تقصد بذلك يا هيوى ؟

پورتيوس : [محاولا استرجاع هدوئه] : أكان عليك أن تربحى ورقتى الرابحة .

ليدى كيتى : [ببراءة] : أوه ! وهل كان «الآس» خاصا بك ياحبيبى ؟

پورتيوس : [منفعلا] : أجل إنه « آسى » .

ليدى كيتى : لقد كانت هى الورقة الرابحة الوحيدة فى يدى، ومع ذلك ما كان يجب على أن أربح بها

پورتيوس : لا تقولى ذلك . أنّا تعرف الآن تماماً ما فى يدى من ورق .

ليدى كيتى : ولكنها كانت تعرفه من قبل .

پورتيوس : كيف يمكنها معرفة ورق ؟

ليدى كيتى : لقد قالت ، إنها ترى جميع الأوراق التى فى يدك .

أنّا : أوه ! لم أقل ذلك . لقدقبلت إن فى إمكانى رؤيتها .

ليدى كيتى : حسناً ! لقد ظننت أنه ما دام فى قدرتها رؤيتها .. فبطبيعة الحال سوف تراها .

پورتيوس : فى الواقع ، يا كيتى ، إن أفكارك فى منتهى الغرابة .

كلايف : لا غرابة قط فى ذلك ، فإذا بلغ الجهل باللاعب أن يرينى ما بيده من أوراق فإنى بدون شك سأنظر إليها وأعرفها .

پورتيوس : [محتداً] لو أنك درست آداب لعبة البريدج لأدركت أنه محظور بتاتاً على المتفرج أن يتدخل فى اللعب .

كلايف : يا عزيزى هيوى ، إن ذلك يتعلق بالآداب العامة وليس بلعبة البريدج

أنـّا : على أية حال لقد كسبت الدور .

تدى : إنى أطالب بإلغاء الدور .

پورتيوس : لماذا تطالب بإلغائه ؟

تدى : لأنك أخطأت فى اللعب .

پورتيوس : أنى لم أخطئ أبداً فى حياتى .

تدى : دعنى أثبت لك ذلك [ثم يقلب الأوراق التى أمامه ليستطيع قراءتها] . . انظر

ليدى كيتى : [مسرورة لأن پورتيوس أخطأ] : لا شـــك فى ذلك يا پورتيوس لقد أخطأت فى لعبك

پورتيوس : أؤكد لكم أنى لم أرتكب أى خطأ فى اللعب

كلايف : لقد أخطأت بالتأكيد يا هيوى ، وقد كنت فى دهشة لوقوعك فى كل هذه الأخطاء .

پورتيوس : كيف لا أخطئ فى اللعب وهذه الضوضاء اللعينـــة من حولى طول الوقت ! !
[يوجه كلامه إلى تشامبيون تشيينى] لا تقف خلفى ، فإنى لا أستطيع لعب البريدج بينما يتنفس إنسان فى قفاى .

[ثم ينفض الجميع من حول مائدة البريدج ويتفرقون فى الحجرة]

أنـّا : سأختار لى كتاباً وأجلس فى الحديقة حتّى يقترب موعد تناول طعام العشاء [ثم تخرج أنا]

ليدى كيتى : هل تحب أن تتجول معى فى الحديقة يا هيوى ؟

پورتيوس : [وهو يعيد ترتيب أوراق اللعب ليعدها للعبة أخرى يلعبها بمفرده دون أن يتحرك من مكانه] : لماذا تريدين التجول فى الحديقة ؟

ليدى كيتى : لنتريض قليلا

پورتيوس : إنى أكره الرياضة !

كلايف : [ناظراً إلى الأوراق التى فى يد پورتيوس] ضع السبعة فوق الثمانية [لا يعير پورتيوس كلامه أى اهتمام]

ليدى كيتى : ضع السبعة فوق الثمانية يا هيوى !

پورتيوس : لا أستحسن وضع السبعة فوق الثمانية .

كلايف : وهذا « الشاليه » فوق « الدام » !

پورتيوس : أشكرك لست أعمى إنى أرى كل شىء .

ليدى كيتى : الثلاثة فوق الأربعة !

پورتيوس : [مهتاجاً] هل أنا الذى يلعب أم أنتم ؟

ليدى كيتى : ولكنك تخطئ فى كل لعبة .

پورتيوس : هذا أمر يخصنى وحدى ولا شأن لك ؟

كلايف : لا داعى لأن تفقد أعصابك هكذا يا هيوى

پورتيوس : اذهبا بعيداً عنى . إنكما تستثيرانى !

ليدى كيتى : لقد كنا نحاول أن نقدم لك يد المساعدة يا هيوى .

پورتيوس : لست فى حاجة إلى مساعدة أحد . إليكما عنى !

ليدى كيتى : إن تصرفاتك أصبحت لا تحتمل يا هيوى .

پورتيوس : إنه لما يبعث المرء على الجنون أن يصر الناس على مضايقته وهو يحاول أن يسلى نفسه بلعب الورق فى عزلة وهدوء .

ليدى كيتى : لن ننطق بأى كلمة أخرى .

[يستمر پورتيوس فى اللعب ، وكيتى وكلايف يتفرجان عليه]

پورتيوس : آه . . لو كنت قد استمعت إلى نصيحتكما ورفعت السبعة لما أمكننى الاستمرار فى اللعب .

ليدى كيتى وكلايف : [معاً] ضع الأربعة فوق الخمسة .

پورتيوس : [يلقى بأوراق اللعب من يده فى غضب] عليكما اللعنة ! لم لا تتركانى وشأنى ؟ إن هذا لا يحتمل

ليدى كيتى : هذه سخافة منك يا هيوى !

پورتيوس : لقد قلت لك بدل المرة مرات عديدة إنى لا أريد أن يقاطعنى أحد أثناء اللعب ألا تفهمين؟

ليدى كيتى : لا تخاطبنى بهذه اللهجة يا هيوى .

پورتيوس : إنى أخاطبك باللهجة التى تعجبنى .

ليدى كيتى : [تبتدئ فى البكاء] أوه ! يا لك من متوحش ! متوحش !

[ثم تعدو خارج الحجرة]

پورتيوس : يا للداهية ! والآن سيأتى دور البكاء .

[يخرج پورتيوس ببطء إلى الحديقة . كلايف واليزابث وتدى يتركون وحدهم . تسود فترة صمت ، ينتقل نظر كلايف بين اليزابث وتدى فى ابتسامة ساخرة متهكمة] .

كلايف : لعلهما قد تزوجا ، فإنهما يتشاجران كثيراً

اليزابث : [ببرود وجفاء] لقد كان فضلا منك أن تكثر من الحضور إلى هنا منذ قدومها ، فقد ساعد ذلك على تسهيل الأمور إلى حد كبير .

كلايف : أتتهكمين ؟ إن هذه اللهجة الخطابية لا يستسيغها الناس كثيراً فى هذه البقعة ، من الأرض ، فى انجلترا !

اليزابث : ما الذى تهدف إليه من كل ذلك ؟

كلايف : لقد هبط مستوى السيدات الشابات هذه الأيام . ولعل تطرف أرنولد فى تدقيقه فى انتقاء ألفاظه قد دفع بك إلى التطرف العكسى .

الزابث : على كل حال إنك تدرك تماماً ما الذى أعنيه .

كلايف : [مبتسما] لعله مجرد شك مبهم غير واضح .

الزابث : لقد وعدتنى أن تبتعد عن طريقها . فما الذى جاء بك إلى هنا فى اللحظةنفسها التى وصلا فيها ؟

كلايف : لعله حب الاستطلاع يا طفلتى العزيزة . حب استطلاع برىء يجب أن يغفر لصاحبه

الزابث : لم تفارقنا منذ وصولها بينما لم تكن عادتك أن تشرفنا بصحبتك عندما تحضر إلى كوخك .

كلايف : لقد وجدت فى صحبتكم هذه المرة تسلية عظمى .

الزابث : كما لاحظت أنهما عندما يبدأن فى المشاحنة والنزاع تعمل من جانبك بسوء نية على دفعهما إلى مواصلة الخلاف وتعقيده ، وكأنك تجد فى ذلك لذة عظمى .

كلايف : لا أعتقد أنه يوجد بينهما الآن أى حب مفقود . أليس كذلك ؟

[يهم تدى بالخروج من الحجرة]

الزابث : لا تذهب يا تدى .

كلايف : كلا ! أرجوك ألا تخرج يا تدى فلن أبقى

أكثر من دقيقة واحدة . لقد كنا نتكلم عن
ليدى كيتى قبل وصولها [يوجه الكلام إلى اليزابث]
هل تذكرين السيدة الشاحبة الصغيرة الجميلة
فى ملابسها الحريرية السوداء المطرزة .

اليزابث : [ضاحكة] إنك شيطان .

كلايف : حسناً ! لقد كانت شهرته دواماً أنه رجل
مهذب يميل إلى الدعابة والمزاح .

اليزابث : أكنت تتوقع لهذه المسكينة العزيزة أن تبدو
بهذا الشكل ؟

كلايف : يا ابنتى العزيزة ، لم تكن لدى أية فكرة .
لقد كنت تسألينى ذلك اليوم عن شكلها
يوم هربت ، ولم أخبرك إلا نصف الحقيقة
فقط . فقد كانت مرحة طبيعية دون تظاهر
أو تكلف . من كان يحلم أن النشاط والحيوية
ينقلبان إلى تفاهة وطيش ؟ أو أن الجاذبية
الطبيعية الرائعة تتحول إلى تصنع مضحك ؟

اليزابث : إن أعصابى لتثور عند ما أسمعك تتحدث
عنها بمثل هذه الطريقة .

كلايف : إنها الحقيقة المؤلمة التى تثير أعصابك ولست أنا !

البزابث : لقد أحببتها يوماً ما ألم تعد تشعر بأى عاطفة نحوها الآن ؟

كلايف : كلا لست أشعر بشيء ! وما الذى يدعونى لذلك ؟

البزابث : إنها أم ابنك !

كلايف : يا للابنة العزيزة، إنك مخلوقة جذابة بسيطة صريحة طبيعية كما كانت كيتى تماماً ، ولكنى أنصحك ألا تدعى مجرد السفسطة تطغى على حسن إدراكك .

البزابث : ليس من حقنا أن نحاكم وندين خاصة وهى لم تعش بيننا سوى يومين اثنين . إننا لا نعلم الكثير عنها .

كلايف : يا عزيزتى، إن نفسها مثل وجهها ملطخة بالأحمر الكثيف . إن عواطفها كلها رياء لا إخلاص فيها بل مجرد مظهر براق مخادع كاذب . قد تظنين أنى عجوز شرس قاس ولكنى كلما فكرت فى الحالة التى كانت فيها كيتى فيما مضى والدرك الذى وصلت إليه الآن أجد نفسى بين أمرين لا ثالث لهما، فإما الضحك عليها أو البكاء من أجلها .

البزابث : ومن يدريك أنها كانت ستنتهى إلى نفس هذه

هذا المصير لو بقيت زوجتك ؟ أو تظن أن تأثيرك الشخصي عليها كان يمكن أن يكون له من الأثر الطيب القوى ما يجنبها هذا المصير ؟

كلايف : [فى هدوء وابتسامة] كم أحبك عند ماتكونين قاسية علىّ وتحاولين إهانتى .

البزابث : لعل حبك لى يحملك على إجابة سؤالى !

كلايف : لقد كانت كيتى فى السابعة والعشرين من عمرها عند ما هجرتنى ، وقد كان فى مقدورها أن تصبح أى شىء . . . كان فى إمكانها أن تصبح السيدة التى توقعت أنت لها أن تكون ، إن قلة فقط من الناس هى التى تملك من القوة ما تخضع به الظروف لإرادتها وتجبرها على خدمتها ولكن الأغلبية الساحقة منا ، وليدة البيئة التى تعيش فيها . لقد أصبحت كيتى سيدة تافهة حمقاء ؛ لأنها عاشت حياة تافهة حمقاء .

البزابث : [منزعجة] إنك اليوم ، فظيع !

كلايف : إننى لا أدعى القول بأنه كان فى إمكانى أنا منعها من أن تصبح شبحاً مضحكا لسيدة جميلة تقدم بها العمر ، ولكن الحياة كان فى

مقدورها ذلك ، كانت كيتى ستجد
الأصدقاء اللائقين بمركزها ، والنشاط
المهذب الشريف ، والأمور الفاضلة الجديرة
باهتمامها — اسألها كيف كانت عيشتها
طوال هذه السنين الثلاثين بين النساء
المطلقات والرجال الذين يعاشرونهن . . .
ليس شيء فى الوجود أدعى إلى الحزن والرثاء
من حياة اللهو والفساد والمجون .

البزابث : على أية حال لقد أحبت وأحبت بشدة ، وإنى
لا أملك نفسى من العطف عليها والحب لها .

كلايف : وإذا كانت قد أحبت كما تقولين فما هو
شعورها عند ما أدركت أنها حطمت حياة
هيوى حبيبها وقضت على مستقبله ؟ ألم ترَى
أنه كان مخموراً ليلة الأمس بعد العشاء كما
كان مخموراً فى الليلة السابقة .

البزابث : أعلم ذلك .

كلايف : لعلها قد تقبلت إدمانه على الخمر على أنه
أمر عادى . اسألها منذ كم سنة وهو يدمن
شرب الخمر كل ليلة ؟ أو تظنين أنه كان
كذلك منذ ثلاثين عاماً مضت ؟ أتتصورين
أنه كان ألمع شباب انجلترا ، وأن كل

إنسان كان يتوقع له أن يصبح رئيساً للوزراء ؟ انظرى إليه الآن — إنه مخلوق شرس وضيع متهدم يستخدم أسناناًصناعية .

البزابث : أليست أسنانك صناعية أنت أيضاً ؟

كلايف : أجل . ولكنها — بحق الشيطان — تلائمنى . لقد حطمته كيتى وهى تعلم أنها قد حطمته .

البزابث : [ناظرة إليه فى شك وارتياب] لأى سبب تقول كل هذا الكلام . . لى ؟

كلايف : وهل فى ذلك جرح لإحساسك ؟

البزابث : أعتقد أنى لا أريد أن أسمع مزيداً عن هذا الموضوع فى الوقت الحاضر .

كلايف : سأذهب لأتفرج على أسماك الزينة حتى يأتى أرنولد ؛ لأنى أريد مقابلته . [بأدب] أخشى أن نكون قد سببنا بعض الضجر والمضايقة للمستر لوتن .

تدى : كلا ! إطلاقاً .

كلايف : ومتى تنوى الرجوع إلى الملايو ؟

تدى : فى غضون شهر تقريباً .

كلايف : آه . . . [ثم ينصرف كلايف]

البزابث : ترى ما الذى يخفيه هذا الرجل فى دخيلة نفسه ؟

تدى : هل تظنين أنه كان يعنيك بكلامه هذا ؟

الزابث : من يدرى ؟ إنه فى ذكاء القردة !

[تتلو ذلك فترة صمت . يتردد تدى قليلا وعند ما يتكلم يلاحظ تغيير فى صوته، ثم يبدو رزيناً مدركاً لخطورة كلماته وإن كان عصبياً بعض الشيء]

تدى : يظهر أنه من الصعب جداً أن أقضى معك بضع دقائق على انفراد . وإننى أتساءل هل تعملين من جانبك على عدم إتاحة هذه الفرصة لى ؟

الزابث : أريد أن أعطى نفسى مهلة للتفكير .

تدى : لقد قررت السفر غداً .

الزابث : لماذا ؟

تدى : لأنه إما أن تكونى لى بكليتك وإما تركت كل شيء ومضيت .

الزابث : يا لك من مستبد ظالم .

تدى : لقد قلت . . . لقد قلت إنك تحبيننى .

الزابث : نعم ؟

تدى : ألديك مانع من أن نتحدث فى هذا الموضوع الآن ؟

الزابث : لا مانع لدى .

تدى : [عابساً] إنى لأشعر بالخجل والارتباك فلطالما

كررت لنفسى كل ما أريد أن أقوله لك
وها أنا أكتشف الآن فقط أن كل ما أعددته
من قول يبدو تافهاً عديم القيمة .

البزابث : أحس أنى على وشك البكاء .

تدى : إن الأمر جد خطير يا البزابث ، وعلينا أن
نبعد العواطف نهائياً ونحكم العقل وحده . .
أظنك عاطفية ، أليس كذلك ؟

البزابث : [محاولة الابتسام وهى تغالب دموعها] وأنت
عاطفى مثلى بخصوص هذا الموضوع .

تدى : وهذا هو السبب الذى من أجله أردت أن
يكون كل شىء سأقوله لك ظاهراً محدداً .
فى رأيى أنه سيكون من الظلم الفاحش أن
أطارحك الغرام وما إليه ، فأحملك على
الاستجابة لحبى ، لهذا كتبت كل شىء
أريد قوله ، وفكرت فى إرساله فى خطاب لك .

البزابث : ولم لم تفعل ؟

تدى : خفت العاقبة . . . إن الخطاب يبدو بارداً
وها أنت ترين أنى أحبك أشد الحب !

البزابث : بحق السماء لا تقل ذلك !

تدى : بالله لا تبكى . أرجوك ألا تفعلى وإلا انهارت
أعصابى .

البزابث : [محاولة أن تبتسم] آسفة . إن بكائى لا يعنى
فى الحقيقة أى شىء . إنها مجرد دموع
تجرى من عينى .

تدى : إن فرصتنا الوحيدة هى أن نكون واقعيين .
[يتوقف عن الكلام لحظة ثم يجد أنه من الصعب عليه
أن يتمالك نفسه – يحاول «تسليك» صوته ثم يتولاه
الغضب لأنه متضايق من نفسه] .

البزابث : ماذا حدث ؟

تدى : إنى أشعر بغصة فى حلقى . هذا غباء منى
بالطبع . يستحسن أن أشعل لنفسى سيجارة
[ترقبه فى صمت وهو يحاول إشعال السيجارة] إنى لم
أشعر بحب لأحد من قبل . . . حباً حقيقياً
ولهذا كان فى حبى لك ضربة قاضية علىّ
ولست أدرى كيف أتمكن من الحياة بدونك
الآن . هل هذا العجوز المغفل يعلم بحبى لك ؟

البزابث : هذا ما أعتقده .

تدى : عندما كان يتحدث عن الليدى كيتى
وتحطيمها لمستقبل اللورد پورتيوس كنت
أحس أنه يقصد بكلامه هذا هدفاً خفياً آخر

البزابث : لعله يحاول أن يقنعنى حتى لا أحطم مستقبلك
أنت .

تدى : بالتأكيد هذا فضل كبير منه ، ولكن ليس
لى مستقبل أخشى عليه من التحطيم . كم
كنت أتمنى لو أن لى مستقبلا .
لعلها المرة الأولى فى حياتى التى تمنيت فيها
أن أكون رجلا عظيماً ثرياً مشهوراً ، حتى
إذا ضحيت بكل ذلك فى سبيل حبك
أثبتُّ لك أنك أنت وحدك بالنسبة لى أهم
من كل كنوز العالم وأمجاده .

اليزابث : [بمحبة وإعزاز] كم أنت عزيز يا تدى .

تدى : ها أنت تعلمين أنى لا أجيد التعبير عن
الحب وحتى لو كنت أجيده لما حاولت ذلك
الآن ، لأنى أريد أن أكون عملياً تماماً .

اليزابث : [مازحة منه] إنى سعيدة لأنك لا تستطيع
مطارحتى الغرام لأن ذلك قد يكون فوق
ما فى مقدورى تحمله .

تدى : ها أنت ترين أننى لا أجيد الغراميات !
إنى رجل أعمال أو مزارع عادى لا أكثر
ولا أقل . وما نحن بصدده الآن أمر فى
منتهى الخطورة ، وأرى من الواجب علينا
أن نكون عقلاء متزنين .

اليزابث : [فى صوت متهدج] أيها البومة !

تدى : كلا يا إليزابث لا تقولى لى شيئاً من ذلك . إنى أريدك أن تضعى فى اعتبارك كل المزايا والأضرار . إن قلبى يضطرب بين جوانحى رغم أنى أحبك ، أحبك ، أحبك .

اليزابث : [تتنهد بعاطفة جارفة] أوه ! يا كنزى الغالى الثمين .

تدى : [غاضباً من نفسه لا من اليزابث] لا تكونى بلهاء يا إليزابث ! لن تسمعى منى أنك حياتى التى لا حياة لى بدونها ، وغير ذلك من الكلمات الفارغة الجوفاء . إنك تعلمين أنك كل شىء لى فى العالم . [فى حالة يأس من ارتباكه] أوه . . . يا إلهى .

اليزابث : [بصوت مرتعش] أتظن أن هناك ما يمكن أن تقوله ولم أكن أعرفه مقدماً ؟

تدى : [فى يأس] ولكنى لم أقل كلمة واحدة مما كنت أريد أن أقوله لك . إنى رجل أعمال وأريد أن أضع الأمر كله بين يديك بطريقة عملية فعلية . أتفهمين ما أقصده ؟

اليزابث : لا أعتقد أنك رجل أعمال ناجح .

تدى : [بجدة] إنك لا تعرفين عمن تتكلمين . إنى رجل أعمال من الطراز الأول ، ولكن هذه

التجربة جديدة علىّ . . . [بيأس] لست أدرى لِمَ لاتسير الأمور معى فى الطريق الصحيح ؟

البزابث : وماذا علينا أن نفعل ؟

تدى : أريدك أن تفهمى أنى لم أحبك لأنك جميلة جداً — كلا فإنى لأحبك الحب نفسه لو أنك عجوز شمطاء قبيحة . إنى أحبك أنت وليس شكلك أو مظهرك . إن شعورى نحوك ليس حباً فقط فليذهب الحب إلى الجحيم ، ولكنى أميل إليك جداً ، أريد أن أكون معك وبقربك . . إنى لأحس بالفرح والسعادة عند ما أذكر أنك بجانبى ، إنى لمغرم بك متيم جداً .

البزابث : [ضاحكة من خلال دموعها] لست أدرى هل هذه طريقتك فى تقديم مشروعاتك التجارية ؟

تدى : لعنة الله عليك ! ألا تتركين لى فرصة عرض الأمر عليك ؟

البزابث : هل قلت لى لعنة الله عليك ؟

تدى : أجل ! وإنى أعنى ما أقول .

البزابث : كانت نبرات صوتك تدل على أنك تعنى ما تقول : يا لك من بطة جميلة .

تدى : فى الحقيقة يا البزابث أنت غير محتملة .

البزابث : إنى لم أفعل شيئاً .

تدى : إنك تخرجينى عن الموضوع . إن ما أريد قوله فى منتهى البساطة والوضوح . إنى رجل أعمال عادى جداً .

البزابث : لقد قلت ذلك قبلا !

تدى : [بغضب] اسكتى . إنى لا أملك «شلناً» زيادة عما أكسبه بعرق جبينى . لا مركز لى فى المجتمع . فى الحقيقة أنا لا شىء . . أما أنت فغنية ولك مركز اجتماعى ممتاز ، ولديك كل ما تشتهين . . . ومن الوقاحة أن أقول لك أكثر من ذلك، ولكن هناك شىء واحد فى العالم يبز فى أهميته أى شىء آخر وهو الحب . . ويعلم الله أنى أحبك . تخلى عن كل هذا يا البزابث وتعالى إلىّ .

البزابث : أغاضب أنت منى يا تدى ؟

تدى : غاضب جداً .

البزابث : يا حبيبى !

تدى : إذا لم تكونى راغبة فىّ ؛ فقولى ذلك الآن ودعينى أرحل فوراً .

البزابث : تدى ! لا شىء يهمنى فى العالم كله إلا

أنت ! وسأذهب معك إلى حيث تأخذنى
لأنى أحبك .

تدى : [وقد تهاوى أمامها] آه ! يا إلهى !

البزابث : أيهمك ذلك إلى هذه الدرجة ؟ أوه . .تدى !

تدى : [محاولا السيطرة على نفسه] لا تكونى حمقاء
يا البزابث .

البزابث : إنك أنت الأحمق ، ستجعلنى أبكى .

تدى : يا لك من عاطفية لعينة !

البزابث : إن العاطفى اللعين هو أنت ،وكلى ثقة أنك
رجل أعمال فاشل .

تدى : لن يهمنى رأيك فىّ ،ويكفينى أنى أصبحت
بفضلك فى منتهى السعادة ستصبح الحياة
معك نعيما وهناء .

البزابث : أنت ملاك كريم يا تدى .

تدى : هلم نرحل بسرعة فلا فائدة من إضاعة
الوقت يا البزابث .

البزابث : ماذا تقول ؟

تدى : لا شيء .أحببت فقط أن أردد اسمك على
لسانى : البزابث !

البزابث : أيها الأحمق .

تدى : أتجيدين الصيد ؟

البزابث : كلا .

تدى : سأعلمك . إنك لا تدركين جمال القيام من المعسكر فى الفجر ، والسير خلال الغابة وعند ما يأتى المساء تشعرين بالتعب بينما تزين النجوم صفحة السماء . . . جمال يسلب اللب ،ولكنى لن أقص عليك شيئاً من هذا حتى تصلى إلى قرار حاسم لقد قررت أن أكون عملياً إلى آخر حد .

البزابث : [مازحة معه] إن الشيء العملى الوحيد الذى ذكرته ، هو أن الحب أهم ما فى الوجود أليس عجيباً أن يقع الإنسان فى حب من يحبه ؟

تدى : أرى أنه من الأفضل أن نرحل حالا إذ يخيل إلى أنه من غير اللائق أن نبقى فى هذا المنزل بعد الآن .

البزابث : لن يمكنك السفر الليلة ، فليس هناك أى قطار .

تدى : إذا سأرحل غداً ، وسأنتظرك فى لندن حتى تتمكنى من اللحاق بى هناك .

البزابث : لن أنوى ترك أى رسالة فى وسادة الدبابيس كما فعلت الليدى كيتى . سأخبر أرنولد بنفسى .

تدى : هل تنوين ذلك حقيقة ؟ ألا تعتقدين أن ذلك قد يسبب كثيراً من الارتباك والحرج ؟

اليزابث : يجب أن أواجه الموقف . إنى أكره أن أكون ماكرة مخادعة .

تدى : إذاً دعينا نواجه الموقف معاً .

اليزابث : كلا ! بل سأتحدث إلى أرنولد وحدى .

تدى : سوف لا تتركين الفرصة لأى كائن أن يؤثر عليك ؟

اليزابث : كلا . [يمد يده إليها فتمسك بها ثم ينظر الواحد منهما للآخر نظرة حب عنيفة رزينة يسمع من الخارج صوت سيارة تقترب]

اليزابث : هاهى السيارة . لقد رجع أرنولد . يجب أن أذهب لأغسل عينى فإنى لا أريدهم أن يلحظوا أنى كنت أبكى .

تدى : حسناً [وعند ما تهم بالخروج] اليزابث !

اليزابث : [تقف] نعم .

تدى : فليباركك الله .

اليزابث : [بإعزاز] أيها الأبله !

[تخرج اليزابث من الباب بينما يغادر تدى الحجرة من باب الشرفة الزجاجى إلى الحديقة . تظل الحجرة خالية لحظة . يدخل أرنولد . يجلس على مقعد ويخرج بعض الأوراق من حقيبته . تدخل ليدى كيتى فينهض أرنولد واقفاً]

ليدى كيتى : لقد رأيتك تدخل . بالله لا تقف يا عزيزى فايس هناك من مبرر لأن تكون جم الأدب معى .

أرنولد : لقد دققت الجرس فى طلب فنجان من الشاى .

ليدى كيتى : قد تتسع لنا الفرصة لحديث قصير . إننا لم نقض وحدنا خمس دقائق منذ حضورنا . أريد أن أتعرّف عليك !

أرنولد : أحب أن أؤكد لك أن وجود والدى هنا لم يكن برغبتى أو اختيارى .

ليدى كيتى : ولكنى فى منتهى السرور لرؤيته .

أرنولد : كنت أخشى أن تجدى أنت واللورد پورتيوس إحراجاً فى وجوده هنا .

ليدى كيتى : أوه كلا . كان پورتيوس أعظم صديق له . لقد كانا زميلين فى إيتون وفى أكسفورد . لقد تحسن والدك كثيراً عن آخر مرة رأيته فيها . لم يكن حسن المنظر عند ما كان شاباً ولكنه الآن فى منتهى الجمال .

[يدخل الخادم وعلى يده صينية عليها أدوات الشاى]

ليدى كيتى : هل أصب لك فنجاناً من الشاى ؟

أرنولد : أشكرك كثيراً .

ليدى كيتى : هل أضع لك فيه بعض السكر ؟

أرنولد : كلا ! لقد أبطلت استعماله منذ قيام الحرب

ليدى كيتى : يا لك من حكيم ! إن السكر ضار برشاقة الجسم ؛ كما أن إبطال استعماله دليل على حبك لوطنك . أليس عجيباً أن تسأل الأم ابنها إن كان يتناول الشاى بسكر أو بدونه ؟ إن الحياة لغريبة حقاً ومحزنة بقدر غرابتها ، وكم تطول بى الليالى وأنا مستلقية فى فراشى أفكر فى غرائب الحياة وعجائبها فيضحكنى ذلك .

أرنولد : أخشى أن أكون بطبعى أميل إلى الرزانة .

ليدى كيتى : كم عمرك الآن يا أرنولد ؟

أرنولد : خمسة وثلاثون .

ليدى كيتى : هل وصلت هذا العمر حقيقة ؟ بالطبع كنت طفلة عند ما تزوجت والدك !

أرنولد : فعلا . فقد كان يقول لى دائماً إنك كنت فى الثانية والعشرين من عمرك .

ليدى كيتى : أوه ، هذا هراء . لقد كنت مجرد طفلة عند ما تزوجت . طفلة .

أرنولد : أين اللورد پورتيوس ؟

ليدى كيتى : يا عزيزى . . . ليس من الكياسة أن تسميه لورد پورتيوس ، لم لا تدعوه عمى هيوى ؟

أرنولد : لم يكن عمى يوماً ما .

ليدى كيتى : كلا ، ولكنه عرَّابك[1]. أنا واثقة أنك ستحبه عند ما نعرفه على حقيقته . كم أتمنى أن تأتى أنت والبزابث لتمكثا معنا بعض الوقت فى فلورنسا . إنى أحب اليزابث وأعبدها ، إنها جميلة حقاً .

أرنولد : إن شعرها جميل جداً .

ليدى كيتى : إنها لم تصبغه قط ، أليس كذلك ؟

أرنولد : أوه ، كلا .

ليدى كيتى : إنى لمندهشة ،ولعلها الصدفة المحضة أن يكون لون شعرها هو لون شعرى نفسه ، وهذا يثبت أنك ووالدك يستهويكما الشىء نفسه عامل الوراثة أليس كذلك ؟

أرنولد : ربما .

ليدى كيتى : بالطبع منذ أن التحقت بالكنيسة الكاثوليكية لم أعد أعتقد فى شىء من دلك . إن « داروين » ونظرياته كلها شريرة خاطئة . .

---

(١) العراب أو الشبين الشخص الذى يقف وكيلا عن الطفل وقت العماد حسب بعض الطقوس المسيحية

بخلاف أنه من قلة الذوق أن تكون من سلالة القرود .

[يدخل كلايف تشامبيون تشيٍ من الحديقة]

كلايف : هل تسمحان لى بالتطفل عليكما ؟

ليدى كيتى : تفضل يا كلايف . لقد كنت وأرنولد فى حديث ودى من القلب للقلب .

كلايف : جميل جداً .

أرنولد : أبى ! لقد مررت أثناء عودتى ببيتنا فى «هارفى» . إن ما يقومون به فى هذا البيت من ترتيبات هو محض إجرام لا أكثر ولا أقل .

كلايف : ماذا يفعلون هناك ؟

أرنولد : إن المنزل مبنى على طراز عهد الملك جورج بينما يرجع كل أثاثه إلى العصر الفيكتورى لقد قلت لهم رأيى بهذا الخصوص، ولكن دون جدوى فإنهم متمسكون بأثاث البيت وعفشه .

كلايف : لقد كان خليقاً بأرنولد أن يتخصص فى تنسيق المنازل وتزيينها .

ليدى كيتى : إن له ذوقاً رفيعاً ورثه عنى .

أرنولد : إن لى ميلا غريزياً لتزيين المنازل وتنسيقها .

ليدى كيتى : لقد جعلت هذا البيت جميلا جذاباً
يا أرنولد .

كلايف : هل تذكرين يا كيتى أنه كان لدينا مقاعد
مريحة مغطاة بالقماش المطبوع المتعدد الألوان
عند ما كنا نعيش معاً هنا ؟

ليدى كيتى : لقد كان شكل هذه المقاعد مقبضاً مخيفاً .
أليس كذلك ؟

كلايف : إن مسألة الذوق كانت ثانوية بالنسبة
لرجال ونساء تلك الأيام .

أرنولد : لقد أعدت دراسة المقعد الذى اشتريته ؛
فمنذ أن قال اللورد پورتيوس : إن أرجله غير
مستقيمة وأنا قلق غير مرتاح .

ليدى كيتى : لقد قال لك ذلك لأنه كان غاضباً غير
معتدل المزاج .

كلايف : إن طبعه قد أصبح سيئاً هذه الأيام يا كيتى .

ليدى كيتى : أجل إنه كذلك .

أرنولد : لقد دفعت فى هذا المقعد خمسة وسبعين
جنيهاً ، وقلما يخدعنى أحد فلدى الإحساس
بمعرفة ما إذا كان الشىء الذى اشتريه هو
الصنف الحقيقى أم لا ؟

كلايف : لا تدع هذا الأمر يقاق نومك ويفسد عليك راحتك .

أرنولد : ولكن هذا ما حدث بالضبط يا والدى العزيز ؛ فقد حامت به ليلة الأمس . . كان حلما مزعجاً .

ليدى كيتى : ها هو هيوي .

أرنولد : سوف أذهب لأحضر كتاباً عن الأثاث الإنجليزى القديم . إن فيه رسما توضيحياً لمقعد يشابه المقعد الذى اشتريته تماماً .

[يدخل پورتيوس]

پورتيوس : إنه والله اجتماع عائلى مكتمل !

كلايف : لقد كنت أفكر الآن فى أننا نمثل صورة مرضية للبيت الإنجليزى الصميم .

أرنولد : سأعود بعد خمس دقائق . هناك ما أريد اطلاعك عليه يا لورد پورتيوس .

[يخرج أرنولد]

كلايف : هل تسمح بلعب البيكيه معى يا هيوى ؟

پورتيوس : لا أشعر بميل كبير للعبة البيكيه .

كلايف : إنك لم تكن قط لاعب بيكيه ممتاز يا هيوى

پورتيوس : يا عزيزى كلايف ، إنكم هنا فى انجلترا لا تعرفون ما هو البيكيه .

كلايف : إذا فلنلعب معاً لعلك تربح منى نقوداً .

پورتيوس : لا أرغب فى اللعب معك .

ليدى كيتى : لست أدرى لماذا لا تريد اللعب معه يا هيوى .

پورتيوس : دعنى أصارحك بأن تصرفاتك لا تعجبنى .

كلايف : إنى آسف لذلك ، ولكنى لن أتمكن من أن أعدك بتغيير طباعى بعد أن بلغت هذه السن

پورتيوس : لست أدرى ما الذى تريده من بقائك هنا كل هذا الوقت الطويل ؟

كلايف : لعله الحب الطبيعى الذى يربطنى ببيتى .

پورتيوس : لو أن لديك شيئاً من حسن التصرف لابتعدت عن طريقنا طول مدة وجودنا هنا

كلايف : ياعزيزى هيوى لست أفهم وجهة نظرك إطلاقاً . إذا كنت أنا راغباً فى اعتبار « أن ما فات مات » فلماذا تعترض على ذلك ؟

پورتيوس : يا للعنة ، لم يفت ولم يمتِ أى شيء .

كلايف : ومع كل فأنا الجانب المجنى عليه .

پورتيوس : كيف تعتبر نفسك الجانب المجنى عليه بحق الشيطان ؟

كلايف : لقد هربت مع زوجتى . ألم تفعل ذلك ؟

ليدى كيتى : لا داعى للخوض فى ذكرى الماضى . إنى لا أفهم لم لا نصبح كلنا أصدقاء ؟

پورتيوس : أرجوك ألا تتدخلى يا كيتى .

كيتى : أنا مغرمة جداً بكلايف .

پورتيوس : كلايف لا يساوى لديك قلامة ظفر . ولكنك تقولين ذلك لمجرد إثارتى .

كيتى : أبداً . بل إننى لا أدرى لماذا لا يأتى و يمكث معنا .

كلايف : كم أحب هذا . فالربيع فى فلورنسا ممتع حقاً . هل لديكم وسائل التدفئة الحديثة ؟

پورتيوس : كلايف ، إنى لم أحبك فى الماضى ، ولا أحبك الآن ولن أحبك فى المستقبل .

كلايف : يا لى من تعس ! لقد أحببتك فى الماضى وأحبك الآن ، وسأقيم على حبك .

كيتى : إنك ظريف جداً يا كلايف .

پورتيوس : إذا كنت تعتقدين ذلك ، فلماذا هجرته بحق الشيطان ؟ !

كيتى : أتوبخنى لأنى أحببتك ؟ كم أنت بغيض إلى أبعد حد !

كلايف : كفى ، كفى ، لا تتشاجرا .

كيتى : إنه مخطئ على طول الخط . إنى أسهل

شخص فى العالم يمكن لإنسان أن يعيش معه ولكنه يستنفد صبر القديسين .

كلايف : هدئى من روعك يا كيتى ولا تغضبى فعند ما يعيش اثنان معاً فلا بد من حدوث أخذ وعطاء بينهما .

پورتيوس : لست أدرى عما تتكلم بحق الشيطان .

كلايف : لم يغب عن ملاحظتى أنكما تميلان إلى الشجار والمشاحنة قليلا . وكثير من الأزواج يفعلون ذلك ولو أن هذا يدعو إلى الأسى والأسف

پورتيوس : هل لى أن أرجوك أن تتفضل مشكوراً فتهتم بشئونك الخاصة ، وتكف عن التدخل فيما لا يعنيك ؟

كيتى : إن هذا من شأنه، فمن الطبيعى أنه يريدنى أن أكون سعيدة .

كلايف : إنى لأشعر بأعظم الحب نحو كيتى .

پورتيوس : إذن لماذا لم تكن تهتم بأمرها كما يجب ؟

كلايف : يا عزيزى هيوى ، لقد كنت أعظم صديق لى فوثقت فيك ثقة عمياء . كان ذلك تهوراً منى .

پورتيوس : بل كان ذلك منك خطأ لا يغتفر .

كيتى : لست أدرى ماذا تقصد بذلك يا هيوى ؟

پورتيوس : أزجوك ألا تحاولى بأية طريقة أن تهاجميني يا كيتى .

كيتى : أوه ، إنى أعلم ماذا تقصد .

پورتيوس : لماذا بحق الشيطان إذن تقولين أنك لا تعرفين قصدى ؟

كيتى : عند ما أفكر فى أننى ضحيت بكل شىء فى الوجود من أجل هذا الرجل ! وأنه قد قُدِّرَ على أن أعيش معه فى منزل قذر مبنى من الحجر والرخام ، خال من الشروط الصحية لمدة ثلاثين عاماً كاملة .

كلايف : هل تقصدين القول بأنه لا يوجد فى منزلكم حمام ؟

كيتى : لقد كنت أغتسل فى طست .

كلايف : أيتها المسكينة كيتى كم قاسيت وعانيت ؟

پورتيوس : فى الواقع يا كيتى لقد أصبحت أضيق بسماعى عن التضحيات التى بذلتها من أجلى وأظنك تفكرين أننى لم أضح بشىء . لولاك أنت لكنت قد أصبحت الآن رئيساً للوزراء ..

كيتى : هذا هراء وكلام لا معنى له !

پورتيوس : ماذا تقصدين بذلك ؟ لقد كان كل إنسان يتوقع أن أصبح رئيساً للوزراء . ألم يكن منتظراً أن أكون رئيساً للوزراء يا كلايف ؟

كلايف : كان هذا بالتأكيد ما يتوقعه معظم الناس .

پورتيوس : كنت ألمع شاب فى انجلترا فى زمانى ، وكنت موعوداً بمقعد فى مجلس الوزراء بعد الانتخاب التالى .

كيتى : كانوا سيكتشفون حقيقة أمرك كما تكشفت لى . لقد سئمت سماع قولك : إنى حطمت مستقبلك . لم يكن لك أى مستقبل فأحطمه . رئيس للوزراء ! ليس لك عقلية رئيس الوزراء . وليست لديك صفاته . زد على ذلك ، أنه فى عالم السياسة ليس الرجل هو المهم بل السيدة التى تقف من خلفه تشد أزره . لقد كان فى إمكانى — لو شئت — أن أجعل من كلايف عضواً فى مجلس الوزراء .

پورتيوس : كلايف !

كيتى : أجل . فبفضل جمالى وسحرى وقوة أخلاقى ولباقتى وذكائى كان فى استطاعتى تحقيق أى هدف .

پورتيوس : لم يكن كلايف أكثر من سكرتير سياسى لى ، ولو وليت رئاسة الوزارة لمنحته حكم إحدى المستعمرات بدافع من العطف والشفقة ولتكن استراليا الغربية مثلا .

كيتى : [وقد لمعت عيناها ببريق الغضب]: وهـــل كان معقولا أن أدفن نفسى فى استراليا الغربية ؟! رغم ما أتمتع به من جمال ؟ وما لدى من سحر وجاذبية ؟

پورتيوس : ربما كنت أمنحه حكم باربادوس .

كيتى : [بانفعال] باربادوس ! فلتذهب باربادوس إلى . . . . . باربادوس .

پورتيوس : كان هذا أقصى ما يمكن أن تطمعى فيه .

كيتى : هذا كلام فارغ ! كنت سأحصل له على وظيفة حاكم للهند .

پورتيوس : ما كنت أوافق أبدا على منحكم حكم الهند .

كيتى : كنت بلا شك ستعطينى حكم الهند .

پورتيوس : أوكد لك أنى ما كنت لأقبل هذا إطلاقاً .

كيتى : لقد كان جلالة الملك نفسه هو الذى سيعيننى فى الهند . إن الأمة جميعها كانت ستصر على ذلك . فإما أن أكون نائبة عن جلالة الملكة هناك وإما لا شىء .

پورتيوس : أكرر عليك القول ، إنه ما دامت مصالح الامبراطورية البريطانية . . . ألا لعنة الله على كل ذلك إن طقم أسنانى سيخرج من فمى [ثم يسرع بالخروج من الحجرة]

ليدى كيتى : هذا كثير حقاً . لم يعد فى طاقتى تحمل ذلك بعد الآن . لقد تحملته ثلاثين سنة وقد نفد صبرى الآن .

كلايف : هدئى من روعك يا عزيزتى كيتى .

كيتى : لن أستمع بعد الآن لأى كلمة أخرى . لقد انتهيت إلى قرار حاسم . أجل لقد انتهيت . انتهيت . انتهيت . [ثم تتغير نغمة صوتها] لقد تأثرت عند ما سمعت أنك لم تسكن فى هذا البيت أبداً بعد ما غادرته .

كلايف : إن العصافير الدورية قد تكاثر عددها هنا بشكل كبير ، إلا أن أصواتها أصبحت تسبب لى شخصياً . . انزعاجاً وقلقاً .

كيتى : وعند ما علمت أنك لم تتزوج ثانية بعدى أدركت أنك لا زلت تحبنى .

كلايف : إننى واحد من الناس القليلين الذين يمكنهم الاستفادة من تجاربهم .

كيتى : لا زالت الكنيسة تعتبرنى زوجتك يا كلايف
إن الكنيسة فى منتهى الحكمة . إنها تعلم أن
المرأة لا بد راجعة فى النهاية إلى حبها الأول .
كلايف ، إننى أرغب فى العودة إليك!

كلايف : يا عزيزتى كيتى لا يمكننى استغلال غضبك
المؤقت من هيوى لحملك على اتخاذ خطوة
أنا واثق من أنك ستندمين عليها أشد الندم .

كيتى : لقد طال انتظارك لى . اقبلنى من أجل
أرنولد .

كلايف : هل ترين أننا فى حاجة حقيقية للاهتمام بأمر
أرنولد ؟ لقد أمضى ثلاثين عاماً اعتاد
خلالها هذه الحياة وألفها .

كيتى : [ابتسامة خفيفة] لقد كنت فى شبابى عابثة
مسرفة يا كلايف .

كلايف : ولكنى لم أكن كذلك . لقد كنت شاباً
طيباً يا كيتى .

كيتى : أعرف ذلك .

كلايف : ولهذا فأنا سعيد الآن . لأن ذلك جعل فى
إمكانى أن أصبح عجوزاً شريراً .

كيتى : عفواً . . . .

[يدخل أرنولد وفى يده كتاب كبير]

أرنولد : لقد وجدت الكتاب الذى كنت أبحث عنه .
أين اللورد پورتيوس ؟ أليس هنا ؟

كيتى : لحظة واحدة يا أرنولد . إننى مشغولة مع أبيك .

أرنولد : آسف جداً [ثم يخرج إلى الحديقة]

كيتى : زدنى إيضاحاً يا كلايف فلست أفهم شيئاً .

كلايف : عند ما هربت منى يا كيتى كنت أشعر بأنى متألم حانق تعس . ولكنى فوق كل ذلك كنت أشعر بأننى أحمق .

كيتى : يا لغرور الرجال !

كلايف : ولكنى درست التاريخ ووجدت أن مأساتى هذه يشاركنى فيها معظم مشاهير الرجال .

كيتى : إنى كثيرة الاطلاع شخصياً ولطالما بدت لى هذه الحقيقة غريبة فعلا .

كلايف : إن تعليل ذلك سهل جداً . تكره النساء الذكاء وعند ما يجدن أن أزواجهن أذكياء ينتقمن منهم بالطريقة الوحيدة التى فى إمكانهن وذلك بجعلهم . . . يظهرون بالمظهر الذى أظهرتنى به .

كيتى : هذا تعليل معقول ، وقد يكون صحيحاً .

كلايف : ولما كنت أشعر أنى قمت بواجبى حيال المجتمع الذى أعيش فيه ؛ لذلك قررت أن أكرس باقى حياتى لتسلية نفسى . ولما كنت قد ضقت بعضوية مجلس العموم، فقد انتهزت الفرصة التى أتاحتها لى فضيحة طلاقنا ، وقدمت استقالتى وقد شعرت بالراحة والسعادة عند ما وجدت أن انجلترا سائرة فى طريق التقدم والفلاح بدونى .

كيتى : ولكن ألم يعرف الحب طريقه إلى قلبك ثانية ؟

كلايف : حدثينى بصراحة يا كيتى . ألا تعتقدين أن الناس كثيراً ما يثيرون ضجة مفتعلة لا لزوم لها حول الحب .

ليدى كيتى : إن الحب هو أعجب شىء فى الوجود .

كلايف : إنك عنيدة غير قابلة للإصلاح . هل تؤمنين حقيقة بأن الحب جدير بكل هذه التضحية فى سبيله ؟

ليدى كيتى : يا عزيزى كلايف ، لا أجد حرجاً فى أن أذكر لك أننى لو ملكت إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء لما بقيت وفيّة لك ، وإن كنت لن أهجرك .

كلايف : لقد ظللت فريسة لحزن دفين بضع سنين ، ولكنى وجدت أن هناك الكثير من المخلوقات الجميلات الفاتنات على استعداد لتسليتى وتعزيتى . وفى النهاية بدأت أضيق بهذا الهم .

ليدى كيتى : ومنذ ذلك الحين ؟

كلايف : ومنذ ذلك الحين سمحت لنفسى بمتعة تقديم بعض المساعدات المالية لعدد كثير من الشابات الجميلات ممن تتراوح أعمارهن بين العشرين والخامسة والعشرين .

ليدى كيتى : لست أدرى سر افتتان الرجال بالبنات الصغيرات . إنى أعتقد أنهن يثرن فى النفس الضيق والملل .

كلايف : إنها مسألة ذوق . إنى أحب الخمر المعتقة وأصدقاء الصبا والكتب القديمة ، ولكنى أعبد النساء الصغيرات . وفى عيد ميلادهن الخامس والعشرين ، أهدى إلى الواحدة منهن خاتماً من الماس ، وأنصحها بألا تضيع شبابها وجمالها مع عجوز محطم مثلى . [يعقب هذا بالطبع منظر مؤثر للغاية] ولكن خطتى فى مثل هذه الظروف كانت تنجح دائماً

وعند ذلك أبدأ فى تمثيل الدور نفسه مع
غيرها من الصغيرات الفاتنات .

ليدى كيتى : يا لك من عجوز شرير يا كلايف !

كلايف : هذا ما ذكرته لك ولكنى – يعلم الله – سعيد جداً بذلك .

ليدى كيتى : لم يعد أمامى سوى طريق واحد أسلكه الآن .

كلايف : وما هو ؟

ليدى كيتى : [بابتسامة مفاجئة] .هو أن أذهب لارتداء ملابسى استعداداً لتناول طعام العشاء .

كلايف : عظيم جداً . وسأحذو حذوك .

[أثناء خروج كيتى تدخل اليزابث]

اليزابث : أين أرنولد ؟

كلايف : فى الشرفة . سأدعوه لك .

اليزابث : لا تزعج نفسك .

كلايف : لقد كنت ذاهباً [إلى الكوخ] لأرتدى ملابس العشاء [أثناء خروجه] أرنولد [ثم ينصرف]

أرنولد : [تدخل إليزابث] يا اليزابث . لقد وجدت هنا رسما إيضاحياً لمقعد من نفس النوع الذى اشتريته ويرجع تاريخه إلى عام ١٧٥٠ . انظري !

اليزابث : أمر يثير الاهتمام ..... !

أرنولد : إنى أريد أن أعرضه على پورتيوس [يحرك مقعداً لم يكن موضوعاً فى مكانه] إنى أضيق بالناس الذين لا يتركون كل شىء مكانه . فما أكاد أضع شيئاً فى موضعه حتى أجده قد نقل منه .

اليزابث : لا بد أن ذلك يضايقك لدرجة الجنون .

أرنولد : بالتأكيد . وأنت على رأس قائمة المخطئين . لست أدرى لماذا لا تحسين بالزهو مثلى لأنك تملكين هذا المنزل ؟ إنه من أجمل بيوت المقاطعة .

اليزابث : يبدو أننى لا أحوز برضائك مطلقاً .

أرنولد [مازحاً] : لست أدرى شيئاً عن ذلك . إن جل اهتمامى موجه إلى موضوعين هما السياسة وتزيين المنازل ، وإنى لعلى يقين من أن هذين الموضوعين لا يهمانك فى قليل أو كثير .

اليزابث : ليس هناك أى توافق فى طباعنا يا أرنولد أليس كذلك ؟

أرنولد : إن اللوم فى ذلك لا يمكن أن يقع على .

اليزابث : أنا لا ألومك على شىء بل إنى لا أجد فيك عيباً واحداً .

أرنولد : [مندهشاً لنغمتها ذات المعنى] يا لله ! ما معنى كل ذلك ؟

الزابث : حسناً . لا أرى فائدة فى تركك تتخبط فى الظلام على غير هدى . إنى أرجوك أن تدعنى أذهب لحال سبيلى .

أرنولد : تذهبين إلى أين ؟

الزابث : بعيداً عنك ، وإلى الأبد .

أرنولد : يا طفلتى العزيزة ، عم تتحدثين ؟

الزابث : أريد أن أصبح حرة طليقة .

أرنولد : [بفضول أكثر من قلق] لا تجعلى من نفسك أضحوكة يا عزيزتى . إن أعصابك مرهقة وتحتاجين إلى بعض التغيير . سآخذك إلى باريس لنقضى أسبوعين هناك إذا أردت .

الزابث : لو لم أكن قد انتهيت إلى قرار حاسم لما تحدثت إليك بخصوص ذلك . لقد مضى على زواجنا سنين ثلاث ، وللأسف لم يكن هذا الزواج ناجحاً أو موفقاً ، وبكل صراحة لقد سئمت نوع الحياة التى تريدنى أن أحياها معك .

أرنولد : حسناً إذا سمحت لى أن أبدى رأيى ، فإن الخطأ فى كل ذلك يقع عليك . إننا نحيا

حياة مفيدة ممتازة ، كما أننا على صلة بالكثيرين من علية القوم وأفاضل الناس .

اليزابث : إنى أوافق جدلا على أن الخطأ فى ذلك يقع على ، ولكن ما جدوى ذلك الآن؟ إنى فى الخامسة والعشرين من عمرى فقط، وإذا كنت قد ارتكبت غلطة فأمامى متسع من الوقت لإصلاحها .

أرنولد : إننى لا أريد أن آخذ كلامك هذا على محمل الجد .

اليزابث : ألا ترى أننى لا أحبك ؟

أرنولد : يؤسفنى ذلك جداً . ولكن لم يجبرك أحد على الزواج منى . وكما يقول المثل « لقد أعددت فراشك بنفسك » وأخشى أن يكون من واجبك أن تنامى فيه ؟

اليزابث : هذا المثل أكثر الأمثلة الانجليزية مجافاة للصواب ، فلست أدرى ما الذى يجبر الإنسان على النوم فى الفراش الذى أعده لنفسه وأمامه أرض الله واسعة الفضاء .

أرنولد : بحق السماء ليس هذا وقت المزاح يا اليزابث

اليزابث : لقد قررت هجرك يا أرنولد بصفة نهائية .

أرنولد : كفى بالله يا اليزابث ولتحكمى عقلك فلن تجدى سبباً واحداً تتركينني من أجله .

اليزابث : ولكن ما الذى يرغبك فى الاحتفاظ بامرأة مرتبطة بك ما دامت تصر هى على أن تصبح حرة طليقة ؟

أرنولد : الحقيقة أننى أحبك يا إليزابث .

إليزابث : أما كان الأجدر بك أن تخبرنى بذلك قبل الآن ؟

أرنولد : كنت أظنك تعتبرين حبى لك قضية مسلماً بها ، وأعتقد أنك لا تتوقعين من أى رجل أن يستمر فى مطارحة زوجته الغرام بعد أن مضى على زواجه منها ثلاث سنوات . إن مشاغلى عديدة جداً ، كما أنى شديد الاهتمام بالسياسة ، وإنى أعمل كالدابة ليل نهار لأجعل هذا البيت جميلا يليق بك . وفوق كل هذا وذلك فإن الرجل منا ليتزوج ليصبح له بيتاً ينشد فيه الراحة ، ثم لأنه لايريد أن يشغل باله بالمسائل الجنسية وما أشبهها . لقد أحببتك عند ما رأيتك أول مرة ولا زلت أحبك حتى الآن .

اليزابث : إنى آسفة لذلك ، ولكنك ما دمت لا تحب

الشخص الذى يحبك فإن محبته لك تصبح عديمة القيمة لا تهملك فى قليل أو كثير .

أرنولد : لعمرى إن هذا نكران للجميل . لقد عملت كل ما فى وسعى لإسعادك .

اليزابث : إنك دائم العطف علىّ والشفقة بى ، ولكنك تطلب منى أن أعيش حياة لا أحبها ولا أصلح لها . . إنى فى شدة الأسف إذ سأكون السبب فى تألمك ، ولكنى أرجوك أن تدعنى أذهب .

أرنولد : هذا عبث ! إنى أكبر منك سناً وأكثر منك خبرة وتجربة وأؤكد لك أنه من الخير لك ولى ألا أفعل شيئاً مما تطلبين .

اليزابث : [باسمة] وكيف يمكنك أن تمنعنى ؟ ألعلك ستقفل على الباب بالقفل والمفتاح ! !

أرنولد : من فضلك لا تتحدثى إلى كما لو كنت طفلا غريراً . إنك زوجتى وستبقين زوجتى .

اليزابث : وأى حياة هذه تلك التى سنحياها معاً ؟ أتتوقع لى أو لك أى نصيب من السعادة أو الهناء ؟

أرنولد : إذاً ما الذي تقترحينه بالضبط ؟

اليزابث : أريد منك أن تدعنى ،أطلب الطلاق منك .

أرنولد : [مندهشاً] منى أنا ! أشكرك كل الشكر . أتتخيلين أنى سأضحى بمستقبلى من أجل نزوة طارئة من نزواتك ؟

اليزابث : كيف يقضى ذلك على مستقبلك ؟

أرنولد : إن مقعدى فى مجلس العموم يتأرجح بطبيعته ، فإذا كنت طرفا فى قضية طلاق فسيستحيل على الاحتفاظ به حتى ولو كان طلاقاً معداً حسب خطة موضوعة من قبل كما هو الحال فى معظم قضايا الطلاق فى هذه الأيام . إن فى الطلاق قضاء تاماً على مستقبلى ؟

اليزابث : إنه لأشد قسوة على المرأة أن تطلق !

أرنولد : [وقد اعتراه الشك فجأة] ماذا تقصدين من كل ذلك ؟ أتحبين رجلا آخر ؟

اليزابث : أجل .

أرنولد : من هو ؟

اليزابث : تدى لوتن !

[تأخذه الدهشة لحظة ثم ينفجر ضاحكاً]

أرنولد : يا طفلتى المسكينة كيف يمكنك أن تجعلى من نفسك أضحوكة إلى هذا الحد ؟ إنه فقير معدم لا يملك «شلناً» واحداً كما أنه

شاب من عامة القوم ورعاعهم . لعمرى
إنه أمر يثير الضحك لا الغضب .

البزابث : لقد وقعت فى حبه بكل قوتى يا أرنولد .

أرنولد : ومن الأفضل أن تنهضى من عثرتك بكل
قوتك .

البزابث : إنه يريد الزواج منى .

أرنولد : بلا شك . إلى الجحيم به .

البزابث : لا فائدة من التحدث بهذه اللهجة .

أرنولد : هل هو عشيقك ؟

البزابث : كلا . بالتأكيد لا .

أرنولد : إنه سافل حقير استغل كرم ضيافتى
وأوقعك فى حبائله .

البزابث : إنه لم يحاول مرة أن يقبلنى أبداً .

أرنولد : لو كنت مكانك لحاولت قول ذلك الهراء
للمغفلين فقط عسى أن تجدى بينهم من
يصدقك .

البزابث : إن رغبتى فى أن لا أرتكب شيئاً دنيئا هى
التى دفعتنى إلى مقابلتك لأعرض عليك
الأمر بصراحة ودون مواربة .

أرنولد : منذ متى وأنت تفكرين فى ذلك ؟

البزابث : لقد أحببت تدى منذ أن عرفته .

أرنولد : ولم تفكرى فى أبداً كما أعتقد ! !

اليزابث : أوه ، كثيراً ما فكرت فيك . إنى تعسة من أجلك ، ولكنى لا أملك من أمرنفسى شيئاً ،وكم حاولت وتمنيت أن أحبك ولكنى فشلت .

أرنولد : إنى أنصحك بالتفكير والتروى قبل أن تقدمى على اتخاذ أى خطوة طائشة .

اليزابث : لقد أطلت التفكير بكل عناية واهتمام .

أرنولد : لست أدرى بالله لم لا أضربك ضرباً مبرحا . لعل هذه هى الطريقة المثلى التى ترجعك إلى صوابك .

اليزابث : أوه يا أرنولد لا تصعب الأمور .

أرنولد : كيف تنتظرين منى أن أتصرف إذن ؟ لقد جئت إلى وأنت فى منتهى الهدوء لتقولى : لقد سئمت الحياة معك . لقد مضى على زواجنا ثلاث سنين ، ولكنى أحب أن أتزوج رجلا غيرك الآن سأهدم بيتك هل هناك مانع ؟ ألديك اعتراض على أن أطلب الطلاق منك ؟ قد يحطم هذا مستقبلك ؟ أليس كذلك ؟ » كلا يا ابنتى كلا نلست مغفلا لهذه الدرجة الفظيعة .

اليزابث : إن تدى سيرحل عن هنا فى أول قطار غداً وإنى أنذرك أنى سألحق به فور انتهائه من عمل الترتيبات الضرورية .

أرنولد : أين هو ؟

اليزابث : لست أدرى . لعله فى حجرته .

[يذهب أرنولد إلى الباب وينادى]

أرنولد : جورج ! [يظل أرنولد لحظة يتمشى فى الحجرة جيئة وذهابا وهو نافد الصبر واليزابث تراقبه ثم يدخل الخادم]

الخادم : نعم يا سيدى

أرنولد : قل لمستر لوتن أن يحضر إلى هنا حالا

اليزابث : اطلب من مستر لوتن أن يتفضل بالحضور هنا لحظة واحدة إن لم يكن لديه أى مانع .

الخادم : سمعاً وطاعة يا سيدتى [ثم يخرج الخادم]

اليزابث : ماذا تنوى أن تقول له ؟

أرنولد : هذا أمر يخصنى وحدى .

اليزابث : لو كنت مكانك لما أثرت أى فضيحة .

أرنولد : ليس فى نيتى إثارة أى فضيحة [ثم ينتظران فى صمت] لماذا صممت على دعوة والدتى للحضور إلى هنا ؟

اليزابث : يبدو لى أنه من السخافة أن يظن البعض أننى تمثلت بها وأنا على وشك . . .

أرنولد : [مقاطعاً] اتخاذ الخطوة نفسها التى سبق لها أن اتخذتها . حسناً لقد رأيت والدتى فما رأيك فيها ؟ أتعتقدين أنها كانت على صواب عند ما هربت مع حبيبها ؟ أهذه هى السيدة التى يتمنى الإنسان أن تكون أمه مثلها ؟

اليزابث : إنى أشعر بالخجل وأنا حزينة من أجلها ! إنه لأمر مفزع مخيف . . . لقد حدث هذا الصباح أن شاهدت وردة فى الحديقة ، وقد عبثت بها الريح فتناثرت أوراقها الباهتة الذابلة ، وكانت تبدو بين الأزهار اليانعة كالعجوز الشمطاء التى لطخت وجهها بالمساحيق ، بينما كانت منذ بضعة أيام نضرة يانعة فواحة العطر . إن شكلها القبيح اليوم لا يقلل من جمالها السابق . وهذه حقيقة

أرنولد : هذا شعر ! رباه ! أهذه لحظة مناسبة لقرض الشعر ؟

[يدخل تدى وقد ارتدى ملابس العشاء]

تدى : [مخاطبا اليزابث] أتريدين منى شيئاً ؟

أرنولد : لقد أرسلت فى طلبك [ينظر تدى من أرنولد إلى اليزابث فيدرك أن شيئاً قدحدث] متى يمكنك مغادرة هذا البيت ؟

تدى : كنت أنوى السفر غداً صباحاً، ولكن يمكنني السفر الآن إذا كنت تريد ذلك .

أرنولد : إني أريد ذلك .

تدى : حسن جداً . ألديك شيء آخر تريد أن تقوله لى ؟

أرنولد : أتظن أنه من الشرف والنبل أن تنزل ضيفاً فى بيتى فتغازل زوجتى وتوقعها فى حبك ؟

تدى : كلا . بالتأكيد . إنى لم أكن سعيداً لهذا الوضع بالمرة ، وهذا ما جعلنى أريد الرحيل من هنا .

أرنولد : أقسم بشرفى أنك بليد الإحساس .

تدى : أخشى ألا تكون هناك أية فائدة فى الاعتذار والأسف وما شابه ذلك، ولعلك الآن تعرف الموقف تماماً .

أرنولد : هل تنوى حقيقة الزواج من اليزابث ؟

تدى : نعم . وإنى أحب أن أتزوجها فى أول فرصة ممكنة .

أرنولد : ألم تحاول أبدا التفكير فى ؟ ألم يدخل فى حسابك أنك بذلك تهدم بيتى ، وتحطم سعادتى ؟

تدى : وأى سعادة ترجوها من بقاء البزابث معك يا سيدى إذا كانت لا تكن لك عاطفة الحب .

أرنولد : دعنى أؤكد لك أننى أرفض أن أترك مغامراً مثلك لا يساوى قلامة ظفر يستغل طيش زوجتى ليحطم بيتى . إنى أرفض أن يكون هناك طلاق . قد لا يمكننى أن أمنعها من الذهاب معك إذا صممت على أن تجعل من نفسها أضحوكة وسخرية للعالمين ، ولكنى أقول لك — بصفة نهائية — إن شيئاً ما فى العالم لن يحملنى على أن أطلقها .

البزابث : سيكون ذلك منك إجراماً فظيعاً يا أرنولد .

تدى : فى إمكاننا أن نضطرك إلى ذلك قسراً .

أرنولد : كيف ؟

تدى : إذا هربنا معاً فى العلن ، وعلم بذلك الناس أصبح لزاماً عليك أن ترفع عليها قضية تطلب فيها الطلاق .

أرنولد : إنى أعدكما أنه قبل أن تمضى أربع وعشرون ساعة على مغادرتكما هذا المنزل سأسافر إلى مصيف بريتون ومعى إحدى الغانيات ؛ وبذلك لن تتمكن لا أنا ولا هى من الحصول على

الطلاق، لقد كفانا ما حدث فى العائلة من
طلاق . هيا اخرج من هنا الآن . اخرج .
اخرج

[ينظر تدى فى شك إلى إليزابث]

اليزابث : [باسمة] لا تقلق بالك من أجلى . سأكون
بخير .

أرنولد : اخرج ! اخرج !
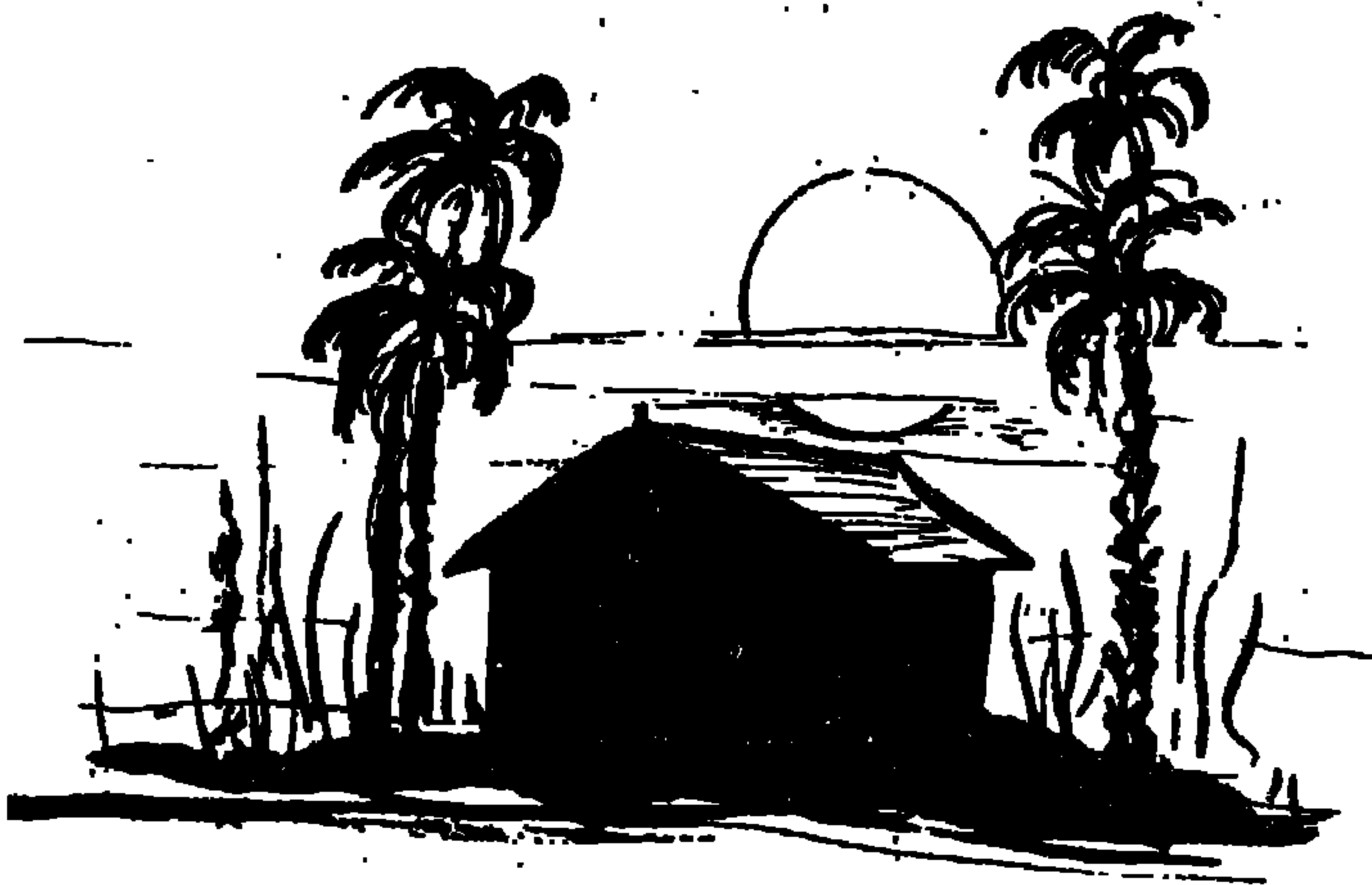
الفصل الثالث

المنظر

كما هو — والزمن مساء اليوم نفسه الذى جرت فيه حوادث الفصل الثانى . أرنولد وكلايف تشامبون تشينى فى ثياب العشاء — يرى كلايف جالساً ، أما أرنولد فيتمشى فى الحجرة رائحاً غادياً وهو قلق مهموم .

كلايف : إنى أعتقد أنك إذا اتبعت نصيحتى حرفياً فإنك ستحقق غرضك .

أرنولد : لا أحب ذلك كما تعلم . إنها لا تتفق مع مبادئى .

كلايف : يا عزيزى أرنولد ، كلنا ننتظر لك مستقبلا سياسياً ممتازاً فى القريب العاجل ، وأرجو أن

تدرك قبل فوات الأوان أن أهم فائدة للمبدأ هى إمكان التضحية به عند الاقتضاء .

أرنولد : ولنفرض أن هذه المحاولة لم تنجح فما العمل ؟ إن عدد النساء يفوق الحصر، ولكل منهن طباعها وعاداتها .

كلايف : هذا كلام أجوف ! إن معشر الرجال عاطفيون ، أما المرأة فهى دائماً على استعداد للتضحية بنفسها كلما وجدت أمامها فرصة لذلك لأنها تجد فى التضحية بنفسها لذة كبرى .

أرنولد : إنى فى حيرة من أمرك يا والدى ولست أدرى حقيقة نظرتك للموضوع .. هل أنت مداعب هازل أم ساخر مرير ؟

كلايف : لست بهذا ولا بذلك يا ولدى العزيز ، وأنا رجل يقول الحق ، ولما كان الناس لم يتعودوا قول الحق فتراهم كثيراً ما يسيئون فهمه ، ويظنونه مرة دعابة وفكاهة ، ومرة أخرى تهكماً وسخرية .

أرنولد : [فى قلق] من الظلم أن يحدث كل ذلك لى .

كلايف : احتفظ بهدوئك يا ولدى، ونفذ ما أقوله لك .

[تدخل اليزابث وليدى كيتى . ليدى كيتى تلبس ثوباً مسائياً فاخراً]

اليزابث : أين اللورد پورتيوس ؟

كلايف : إنه فى الشرفة يدخن سيجاراً [يذهب إلى الباب وينادى] هيوى !

[يدخل اللورد پورتيوس]

پورتيوس : [فى صوت أجش] نعم ! أين مسز شينستون ؟

اليزابث : إنها تشكو من الصداع وقد ذهبت إلى حجرة نومها .

[عند ما يدخل پورتيوس الحجرة تقلب ليدى كيتى شفتيها فى كبر واستعلاء ، ثم تمسك بجريدة مصورة . ينظر إليها پورتيوس بعدم ارتياح ثم يمسك بجريدة مصورة أخرى ، ويختار لنفسه مقعداً فى الطرف الآخر من الحجرة ويجلس فيه . إنه والليدى كيتى متخاصمان لا يكلم أحدهما الآخر]

كلايف : لقد ذهبت الآن مع أرنولد إلى كوخى .

اليزابث : لقد كنت فى دهشة من أمركما ، فلم أكن أعرف أين ذهبتما ؟

كلايف : لقد وجدت صدفة وقت العصر مجلداً يحتوى على صور فوتوغرافية قديمة ، وكنت أنوى إحضاره معى قبل العشاء ولكنى نسيت ؛ لهـذا ذهبت مع أرنولد إلى كوخى لإحضاره .

البزابث : أرجو أن تسمح لى برؤيته . إنى أحب الصور القديمة !

[يعطيها مجلد الصور ، فتجلس واضعة إياه على ركبتيها ثم تبدأ فى قلب صفحاته . يقف كلايف خلفها . تتبادل ليدى كيتى وپورتيوس نظرات مختلسة ، كل منهما للآخر] .

كلايف : فكرت فى أنك قد تجدين تسلية فى رؤية السيدات الجميلات ، وماذا كان شكلهن منذ خمسة وثلاثين عاماً مضت ؟ لقد كان ذلك عصر السيدات الفاتنات .

البزابث : أتظن أنهن كن أبهى جمالا مما هن الآن ؟

كلايف : طبعاً ! طبعاً ! قد ترين الآن عدداً كبيراً من الشابات الصغيرات الجميلات، ولكن السيدات الفاتنات نادرات جداً .

البزابث : ألا تبدو ملابسهن غريبة ؟

كلايف : [مشيراً إلى إحدى الصور] هذه مسز لانجترى .

البزابث : إن أنفها فى منتهى الجمال .

كلايف : لقد كانت أجمل مخلوقة تقع عليها العين . لقد كان الرجال يقفون فوق مقاعدهم حتى يمتعوا أنظارهم برؤيتها . لقد خرجنا معاً للنزهة على ظهور الجياد مرة ، وكان حتما علينا

أن نغلق باب الاسطبل حتى تتمكن من ركوب حصانها لأن الزحام كان شديداً .

البزابث : ومن هذه ؟

كلايف : ليدى لونزديل وتلك هى ليدى ضَضْلِـى

البزابث : هذه ممثلة ، أليس كذلك ؟

كلايف : ممثلة فعلا . إلن تيرى . يالله ! كم كنت أحب هذه السيدة !

البزابث : [مبتسمة] العزيزة إلن تيرى !

كلايف : وهذا هو « بوابز » . لم أر فى حياتى من هو أكثر أناقة من هذا الرجل . وهذا هو أوليفر مونتاجو وصاحب النظارة هذا هو هنرى مانرز .

البزابث : إنه وسيم أليس كذلك ؟ ومن هذه ؟

كلايف : إنها مارى اندرسن . يا ليتك قد رأيتها تمثل دورها فى « قصة شتاء » لقد كان جمالها يخطف الأبصار . انظرى هذه هى ليدى راندولف ، وهذا هو برنار اوزبرن أكثر الرجال الذين عرفتهم لباقة وذكاء .

البزابث : هذه صور فى منتهى الحلاوة . إنى معجبة بثيابهن المنتفخة المنفوشة ، وهذه الأكمام الضيقة .

كلايف : كم كانت أجسامهن فخمة ! ففى تلك الأيام لم يكن مفروضاً فى المرأة أن تكون رفيعة مثل المسمار ، ولا مفرطحة مثل طبق العجة .

الزابث : ولكن كيف كن يتحملن كل هذه الأربطة والشرائط حول أجسامهن ؟

كلايف : لم يكن من عادتهن لعب الجولف فى ذلك العهد ، ولكنهن كن يخرجن للصيد فى قبعات طويلة ، وملابس سوداء محتشمة ، كما كانت أيديهن تمتد بالإحسان والبر إلى فقراء القرية .

الزابث : وهل كان الفقراء يحبون ذلك ؟

كلايف : أجل فقد كانوا فقراء ، وفى حاجة إلى الإحسان . أما فى لندن فقد كان من عادة السيدات أن يخرجن للنزهة فى عرباتهن فى حدائق « هايدبارك » عصر كل يوم كما كن يحضرن حفلات العشاء الفخمة حيث يقابلن صديقاتهن وزملاءهن ، وعندما كانت مدام « البانى » أو « باتى » يغنيان فى الأوبرا كانت تحجز لهن « البناوير » فى الأوبرا .

الزابث : أوه ! يا للرقة والجمال ! من هذه بحق السماء ؟

كلايف : هذه ؟

اليزابث : إنها لتبدو رقيقة مثل قطعة الصينى النقية الفاخرة . أليست جميلة فى فراشها الذى يغطى جزءاً من وجهها والثلج يتساقط عليها .

كلايف : لقد كان النساء فى ذلك الوقت يفضلن أن تؤخذ لهن الصور وسط عاصفة ثلجية صناعية .

اليزابث : يا لها من ابتسامة حلوة ! ابتسامة ماكرة صريحة ! خبيثة لطيفة ! أوه ، كم أتمنى لو كنت أشبهها . بربك قل لى من هى ؟

كلايف : ألا تعرفينها ؟

اليزابث : كلا .

كلايف : لماذا – إنها كيتى .

اليزابث : ليـــدى كيتى ! [مخاطبة ليدى كيتى] أوه يا عزيزتى ! انظرى بالله ! إنها صورة تسلب العقل [ثم تتقدم لها بجلد الصور] لم لم تخبرينى أنك كنت على هذه الدرجة من الأبهة والجمال ! لا غرابة إذا أحبك الناس أجمعون . . . .

[تأخذ ليدى كيتى مجلد الصور من إليزابث ، وتنظر فيه، ثم تدعه يسقط من يديها ؛ ثم تخفى وجهها بين كفيها وتبدأ فى البكاء]

اليزابث : [فى ذعر ودهشة] ماذا حدث يا عزيزتى ؟

ماذا جنيت ؟ إنى آسفة جداً .

ليدى كيتى : لا . . لا تكلمينى . . . اتركينى وحدى . . غباء منى أن أبك .

[تنظر إليها إليزابث لحظة وهى حيرى مضطربة، ثم تستدير وتضع ذراعها فى ذراع كلايف وينصرفان إلى الخارج إلى الشرفة] .

اليزابث : [تهمس فى أذنه وهما خارجان] هل فعلت ذلك عامداً ؟

[ينهض پورتيوس واقفاً ،ويذهب إلى ليدى كيتى . يضع يده على كتفها . يظل على هذا الوضع فترة قصيرة]

پورتيوس : أخشى أن أكون قد أغلظت لك القول قبل العشاء يا كيتى .

كيتى : [تمسك بيده الموضوعة على كتفها] لا تهتم بالأمر كثيراً . لقد أرهقتك بتصرفاتى .

پورتيوس : أنت تعلمين أنى لم أكن أقصد ما قلت .

ليدى كيتى : كما لم أكن أقصد أنا من كل ما قلت شيئاً .

پورتيوس : إنى أعلم بالطبع أنى ما كنت لأصبح رئيساً للوزراء مطلقاً .

ليدى كيتى : كيف تمكنك النطق بهذا الكلام السخيف يا هيوى ؟ لو أنك بقيت على صلتك

بالسياسة لما كان لغيرك من الناس أية فرصة ليصبح رئيساً للوزراء .

پورتيوس : لم تكن لى الصفات اللازمة لهذا المنصب الخطير .

ليدى كيتى : إن صفاتك لأفضل وأسمى من صفات كل من قابلتهم من الناس فى حياتى .

پورتيوس : وفوق ذلك لم أكن راغباً فى هذا المنصب .

ليدى كيتى : أوه ، ولكنى كنت سأزهو بك وأفخر . كنت ستصبح رئيساً للوزراء دون شك .

پورتيوس : كان فى نيتى إعطاؤك حكم الهند . كانت وظيفة مناسبة فى رأى الجميع .

كيتى : ما كنت أهتم بالهند أو بغيرها ، بل لعلى كنت أقنع وأكتفى بحكم استراليا الغربية .

پورتيوس : أتظنين يا عزيزتى ، أنى كنت أرضى أن أدعك تدفنين نفسك فى استراليا الغربية ؟

ليدى كيتى : أو بأربادوس .

پورتيوس : أبداً . بل كنت سأبقيك قريبة منى فى لندن .

[يلتقط مجلد الصور ، ويحاول النظر إلى صورة كيتى . ولكنها تضع يدها عليها فتخفيها]

ليدى كيتى : كلا . لا تنظر إليها [يبعد يدها عن الصورة]

پورتيوس : لا تكونى حمقاء يا كيتّى .

ليدى كيتّى : أليس كريهاً أن يتقدم بى العمر ، وأصبح عجوزاً ؟

پورتيوس : إنلك لم تتغيرى كثيراً ياكيتّى .

ليدى كيتّى : أوه يا هيوى ، ما هذا الهراء الذى تقوله ؟

پورتيوس : كل ما فى الأمر أنك ازددت نضوجاً عن ذى قبل، وأن المرأة لتزيد فتنتها متى تم نضوجها .

ليدى كيتّى : هل تعتقد ذلك حقيقة ؟

پورتيوس : أقسم لك بحياتى أن هذا ما أعتقد .

ليدى كيتّى : ألا تقول ذلك لمجرد إدخال السرور إلى نفسى ؟

پورتيوس : كلا .. كلا .

ليدى كيتّى : إذاً دعنى أعيد النظر إلى صورتى . [تأخذ منه مجلد الصور، وتنظر إلى صورتها فى حب وإعزاز] الواقع أنه ما دام الجهاز العظمى سليما فلن يهم العمر ، إذ يمكن للإنسان أن يبدو على الدوام جميلا .

پورتيوس : [مبتسما وفى لهجة حانية كما لو كان يتحدث إلى طفل] لقد كان غباء منك أن تبكى .

ليدى كيتّى : لم يتلف البكاء رموش عينى . أليس كذلك ؟

پورتيوس : كلا مطلقاً .
ليدى كيتى : إن الصنف الذى أستعمله الآن فى منتهى الجودة . إن الرموش لا تلتصق ببعضها كذلك :
پورتيوس : إلى متى تودين البقاء هنا يا كيتى ؟
ليدى كيتى : إنى على استعداد تام للسفر وقتما تحب .
پورتيوس : إن « كلايف » يضايقنى ويرهق أعصابى ، فلست أحب الطريقة التى يحوم بها طول الوقت حولك .
ليدى كيتى : [مندهشة فى بهجة] هيوى أتقصد أنك تحس بالغيرة من كلايف المسكين ؟
پورتيوس : إنى لا أغار منه طبعاً ؛ ولكنى لا أقر الطريقة التى ينظر بها إليك .
ليدى كيتى : هيوى . لك أن تلقى بى من أعلى السلم وفى مقدورك أن ترمينى على البلاط ، ثم تجرنى من شعر رأسى ، فلن أهتم بذلك ما دمت تغار على . لن أهرم ولو عمرت القرون ما دمت تحبنى .
پورتيوس : ألا لعنة الله على كل ذلك ! لقد كان هذا الرجل زوجاً لك .
ليدى كيتى : يا عزيزى هيوى . ما كان له قط مثل

طريقتك. إنك إذا دخلت مكاناً ما ـ التفت حولك الأنظار ، وهتف الكل قائلين : بحق السماء من هذا ؟

پورتيوس : ماذا تقولين ؟ أتعتقدين ذلك حقيقة ؟ قد يكون فى ذلك بعض الصدق . . . ليقل الناس ما يريدون ؛ ولكن حينما يكون الإنسان . . من طبقة رفيعة . . أعنى . . بحق الشيطان أنك تعلمين ما أعنى .

ليدى كيتى : لقد تدهور كلايف إلى درجة مخيفة منذ أن تركناه .

پورتيوس : ما رأيك فى العودة إلى إيطاليا ، والذهاب إلى سان ميشيل ؟

ليدى كيتى : آه يا هيوى ! لقد مضى وقت طويل منذ أن كنا هناك .

پورتيوس : ألا تحبين رؤيتها مرة أخرى ، ولو مرة واحدة فقط ؟

ليدى كيتى : أتذكر المرة الأولى التى زرناها فيها ؟ لقد كانت جنة لم أر مكاناً يفوقها جمالا ، لم يكن قد مضى على سفرنا من انجلترا أكثر من شهر ، وقلت إنى أتمنى أن أقضى العمر كله هناك .

پورتيوس : أذكر كل ذلك طبعاً ، ولم يمض أسبوعان حتى كان كل شيء فيها ملك يمينك .

ليدى كيتى : لقد كنا فى منتهى السعادة هناك يا هيوى .

پورتيوس : فلنرجع إليها مرة أخرى .

ليدى كيتى : لن أجسر لأنها ستكون مليئة بأشباح الماضى إن الإنسان لا يجب أن يزور المكان الذى تذوق فيه السعادة مرة أخرى ، وإلا كسر الحزن قلبه .

پورتيوس : هل تذكرين كيف كنا نجلس فى شرفة تلك القلعة القديمة ، ونطيل النظر إلى الادرياتيك؟ لقد كنا نتخيل أن العالم لم يعد فيه أحد سوانا : أنت وأنا يا كيتى .

ليدى كيتى : وكنا نظن أن حبنا خالد على الزمن .

[يدخل كلايف تشامپيون تشينى]

پورتيوس : ألا توجد فرصة للعب البريدج هذا المساء ؟

كلايف : أعتقد أنه لن يمكننا جمع أربعة منا .

پورتيوس : إن سفر هذا الولد المفاجئ قد سبب لنا الكثير من المضايقة والتعب ! كما أنه لم يكن لاعباً ضعيفاً .

كلايف : من ؟ تدى لوتن ؟

ليدى كيتى : لقد كان غريباً منه أن يسافر دون أن

يقول كلمة وداع لأى منا .

كلايف : إن شباب هذه الأيام قلما يهتمون بذلك .

پورتيوس : أعتقد أنه لا توجد قطارات فى الليل .

كلايف : لا توجد أى قطارات،فآخر قطار يغادر المدينة فى السادسة إلا ربع مساء .

پورتيوس : كيف سافر إذن ؟

كلايف : لست أدرى ، ولكنه ذهب .

پورتيوس : إنى أسمى ذلك حب ذات لعين .

ليدى كيتى : ولماذا سافر يا كلايف ؟

[ينظر إليها كلايف بعض الوقت مفكرا]

كلايف : لدى خبر خطير أريد أن أقوله لك . إن اليزابث تريد أن تترك أرنولد .

ليدى كيتى : أوه . . ولماذا تريد أن تفعل ذلك ؟

كلايف : لأنها تحب تدى لوتن ، وهذا سبب سفره المفاجئ . إن حظ الرجال فى عائلتى عاثر حقاً .

پورتيوس : وهل تريد اليزابث أن تهرب معه ؟

ليدى كيتى : [فى دهشة ورعب] يا إلهى . . وما العمل الآن ؟

كلايف : فى إمكانك أن تفعلى الشىء الكثير .

ليدى كيتى : أنا ؟ وماذا أفعل ؟

كلايف : قولى لها ماذا وراء هروبها . بصريها . بعواقب هذا الأمر .

[ينظر إليها بثبات . وتحملق هى فيه]

ليدى كيتى : أوه . كلا . كلا .

كلايف : إنها مجرد طفلة ، فإن لم يكن ذلك من أجل أرنولد ، فأرجوك أن تتدخلى من أجلها هى .

ليدى كيتى : إنك لا تدرى ما الذى تطلبه منى ؟

كلايف : بل إنى لأدرى ذلك تماماً .

ليدى كيتى : ما العمل يا هيوى ؟

پورتيوس : تصرفى كما تشائين . لن ألومك على أى شىء .

[يدخل الخادم وفى يده صينية عليها خطاب . يتردد قليلا عند ما لا يجد إليزابث فى الحجرة]

كلايف : ما هذا ؟

الخادم : إنى أبحث عن مسز تشامبيون تشينى يا سيدى .

كلايف : إن زوجتى ليست هنا . أهذا خطاب لها ؟

الخادم : أجل يا سيدى . لقد أرسل تواً من فندق تشامبيون آرمز .

كلايف : اتركه وسأعطيه لها بنفسى .

الخادم : سمعاً وطاعة يا سيدى .

پورتيوس : هل تشامبيون آرمز هذا خانة للشراب ؟

كلايف : [مدققاً النظر فى الخطاب] إنه قد يعتبر فندقاً محلياً ، ولكنى لم أسمع مطلقاً عن أى شخص نزل فيه .

ليدى كيتى : أعتقد أن تدى قد اضطر إلى المبيت هناك ما دام لم يجد أى قطار يسافر فيه .

كلايف : ترى ماذا لديه من أخبار ليكتب لها عنها ؟

[يذهب إلى الباب الموصل إلى الحديقة وينادى] اليزابث

اليزابث : نعم .

كلايف : هنا رسالة لك .

[يسود الصمت فى انتظار مجىء إليزابث ، تدخل إلى الحجرة]

اليزابث : إن الطقس جميل فى الحديقة هذا المساء .

كلايف : لقد أرسلوا لك هذا توا من فندق تشامبيون آرمز .

اليزابث : أشكرك . [تفتح الخطاب دون أى اضطراب أو إحراج . كانوا يراقبونها وهى تقرؤه . كان يتكون من ثلاث صفحات ثم وضعته فى حقيبتها]

ليدى كيتى : هيوى ، أرجو أن تحضر لى معطفى ، فإنى أريد التجول فى الحديقة بعض الوقت

ولكني أجد بعد قضاء ثلاثين عاماً فى إيطاليا – أن ليالى الصيف فى انجلترا شديدة البرودة .

[يخرج پورتيوس دون أن ينطق بأى كلمة ، تظل اليزابث غارقة فى تفكير عميق]

إنى أريد التحدث إلى اليزابث يا كلايف .

كلايف : سأترككما [ثم يخرج من الحجرة]

ليدى كيتى : ماذا قال لك فى رسالته ؟

اليزابث : من ؟

ليدى كيتى : مستر لوتن .

اليزابث : [تنتفض فى مكانها . ثم تطيل النظر إلى الليدى كيتى] هل أخبروك أيضاً ؟

ليدى كيتى : نعم . وكلهم يعتقدون الآن أننى كنت على علم تام بالموضوع طول الوقت .

اليزابث : لن أتوقع منك أى عطف على ، فأرنولد ابنك .

ليدى كيتى : ليس لدى إلا القليل من العطف لسوء الحظ .

اليزابث : إننى لا أصلح لهذا النوع من الحياة فأرنولد يريد منى أن أتخذ – ما يسميه مكانى فى المجتمع . ولكنى أضيق بهذه الحفلات

الكبيرة فى لندن ولا أكاد أطيقها ، كما أن منظر السيدات المتبرجات بملابسهن الجميلة وهن يتزاحمن حول صالات الرقص ومعهن رفقاؤهن من الرجال لا يروقنى ، وكذلك أكره دعوات العشاء التى لا تنتهى حيث يدور الحديث ، وتنتشر الإشاعات حول العلاقات الغرامية لهذه وتلك وغيرهن من السيدات .

ليدى كيتى : هل تحبين مستر لوتن كثيراً ؟

البزابث : أحبه من كل قلبى .

ليدى كيتى : وهو ؟

البزابث : إنه لم يحب فى حياته أحداً سواى ، كما أنه لن يحب أحداً غيرى .

ليدى كيتى : وهل سيسمح لك أرنولد بأن تطلبى الطلاق منه ؟

البزابث : كلا . إنه يرفض ذلك ، كما يرفض حتى أن يطلقنى .

ليدى كيتى : لماذا ؟

البزابث : لأنه يعتقد أن الفضيحة التى ستحدثها القضية ستعيد إلى الأذهان ذكرى القضية القديمة

ليدى كيتى : يا لك من مسكينة !

اليزابث : ليس لى حيلة فى الأمر . . إننى على استعداد لتقبل جميع النتائج مهما كانت خطيرة .

ليدى كيتى : إنك لا تدركين شيئاً عن موقف المرأة التى لا يربطها برجلها شىء سوى كلمة الشرف إذا لم يتفق الزوجان، فإن فى إمكانهما أن ينفصلا ، ولكن هذا الانفصال يستحيل عليها إذا لم يكونا قد تزوجا . إن الصلة بين المرأة والرجل الذى تحبه لا يمكن لغير الموت أن يقطعها .

اليزابث : إننى من البشر ، ويمكننى أن أصمد بمفردى دون معونة أحد إذا دعت الضرورة .

ليدى كيتى : ألديك ثروة خاصة بك ؟

اليزابث : كلا !

ليدى كيتى : إذن كيف يمكنك الاستقلال بنفسك والوقوف على قدميك ؟ قد تظنين أنى امرأة حمقاء تافهة ، ولكنى قد تلقيت دروساً فى مدرسة الحياة القاسية . فى مقدور أفراد المجتمع أن يصدروا من اللوائح والقوانين ما يريدون ، وفى إمكانهم أن يعطونا نحن النساء حق الانتخاب ، ولكنك إذا تعمقت إلى بواطن الأمور ، وأدركت حقيقتها ، لوجدت

أن عبء نفقات الحياة وتكاليفها يقع على كاهل الرجل ، ومن ثم فلا مندوحة من أن تكون له اليد العليا والكلمة المسموعة . إن المرأة لن تصبح مساوية للرجل إلا إذا تمكنت من كسب عيشها بنفس الطريقة التى يكسب بها الرجل عيشه .

البزابث : [باسمة] من الغريب أن أسمعك تتحدثين بهذه اللهجة .

ليدى كيتى : إن الطاهية التى تتزوج خادماً يمكنها أن تقف معه على قدم المساواة ؛ لأنها تكسب من المال القدر الذى يكسبه زوجها ، ولكن امرأة فى مركزك ، أو فى مركزى يتحتم عليها أن تعتمد اعتماداً كلياً على الرجل الذى تعيش معه طول الوقت .

البزابث : أنا لا أريد حياة العز والفخفخة ، وقد لا تعلمين كم سئمت كل هذا الأثاث النفيس الجميل ، وإنى لأعتبر هذه القصور الفخمة المزينة سجوناً ضيقة لا يمكننى التنفس فيها ، وعنــد ما كنت أخرج للنزهة بملابسى الغالية ، وفرائى الثمين فى سيارة الرولز رويس الفاخرة ، كنت أحسد فتيات المتاجر فى

ملابسهن البسيطة الرخيصة وهن ينطلقن في حرية وحيوية ليلحقن بسيارات الأجرة .

ليدى كيتى : أتريدين أن تقولى إنه إذا اضطرك الأمر فستعملين لكسب عيشك بنفسك ؟

الزابث : أجل .

ليدى كيتى : وماذا تريدين أن تكونى ؟ ممرضة ؟ كاتبة على الآلة الكاتبة ؟ كل هذا لغو وكلام فارغ لا معنى له . إن حياة الرفاهية والتنعم لتقوض أعصاب المرأة ، وتسرى فى دمائها ، وإذا ألفتها يوماً أصبحت بالنسبة إليها من ضروريات الحياة .

الزابث : إن ذلك يتوقف على المرأة نفسها .

ليدى كيتى : كل سيدة فى شرخ الشباب ومقتبل العمر تعتقد أنها تختلف عن غيرها من النساء ، حتى إذا كبرت ونضج تفكيرها ، أدركت أن كل السيدات سواء .

الزابث إنه لجميل منك أن تتحملى كل هذا العناء من أجلى .

ليدى كيتى إنى ليحزننى ويحطم قلبى أن أراك مقبلة على ارتكاب الغلطة نفسها المفجعة التى ارتكبتها

اليزابث : أوه ! لا تقولى إنها كانت غلطة . بربك لا تقولى ذلك .

ليدى كيتى : انظرى إلىّ يا إليزابث، ثم انظرى إلى هيوى ! أتظنين أن هروبنا معاً كان عملا صائباً ؟ وهل تعتقدين أنه لو أمكننا العودة إلى ماضى شبابنا أكنت أقدم ثانية على ذلك ؟ أكان هو يرضى بتكرارها ؟

اليزابث : قد لا تعلمين مقدار حبى لتدى .

ليدى كيتى : وهل لم أكن أحب هيوى ؟ ألم يكن هيوى يحبنى ؟

اليزابث : إنى متأكدة من حبه لك .

ليدى كيتى : طبعاً لقد كان حبنا فى البداية نفحة من النعيم ،كنا نشعر بالشجاعة والقدرة على المخاطرة . كان حبنا طاغياً جارفاً متبادلا . دام هذا الهناء عامين . قاطعنى الناس ، كما تعلمين فلم أهتم ؛ لأنى كنت أومن أن الحب هو كل شىء فى الوجود . . أؤكد لك أنه لم يكن من السهل على إطلاقاً، عند ما أقابل مصادفة إحدى الصديقات العزيزات فأسرع إليها بشوق وحماس ، فرحة برؤيتها

وكل ما ألقاه منها نظرة باردة كالثلج .

البزابث : مثل هذه السيدة لا تستحق أن تكون صديقة لك !

ليدى كيتى : لعلها لم تكن متأكدة من نفسها ، فلم تدر كيف تتصرف ، أو لعلها بوغتت فعلا لظهورى فجأة أمامها ؛ ولكنى لا أكتمك الحق ، إنه اختبار قاس ، من الخير لك ولصديقاتك ألا تعرضن أنفسكن له إذا كان ذلك فى الإمكان فإنه ليس آلم للنفس ولا أقسى على الفؤاد من أن يكتشف الإنسان أن أصدقاءه الحقيقيين قلة نادرة .

البزابث : ولكن الإنسان يجد القليل من الأصدقاء على كل حال .

ليدى كيتى : أجل . وهؤلاء الأصدقاء لن يدعوك إلى بيوتهم إلا متى ضمنوا أنك لن تقابلى عندهم أحداً قد يسوؤه رؤيتك وإلا كتبوا إليك يقولون إنهم فى منتهى الوفاء والإخلاص لك،ولكن ابنتهم قد كبرت — ولا يصح أن تذكر قصتك أمامها — وأنك لا بد مقدرة موقفهم إذا لم يتمكنوا من دعوتك لزيارة منزلهم ! !

البزابث : [باسمة] لا يبدو لى أن هذا الأمر جد خطير !

ليدى كيتى : كنت أرحب بهذه المقاطعة فى البداية ، لأنها كانت تتركنى وحدى لهيوى ، وتترك هيوى لى ، وكنا نقضى الوقت معاً دون شريك أو حسيب ، ولكنك تعلمين أن الرجال غريبو الأطوار ، وأنهم بالرغم من حبهم لك لن يقضوا اليوم بطوله ولا شغل لهم غير الحب ، فهم فى حاجة إلى الراحة والتغيير

البزابث : ومن يلومهم على هذا ؟

ليدى كيتى : لقد استقر بنا العيش فى «فلورنسا» . ولما لم نستطع الدخول فى المجتمع المهذب الراقى الذى تعودناه ، اضطررنا إلى التعود على مخالطة المجتمع الذى قبلنا . مجتمع متكون من نساء متحللات متهتكات ورجال سفلة أوغاد . ومن حفنة من رعاع القوم ، وأحط الطبقات ممن يعبدون الألقاب ، ويسيرون كالكلاب وراء أصحابها ليستظلوا بحمايتهم ويستفيدوا من نفوذهم . ومن أمراء إيطاليين مفلسين يسعدهم بين الحين والآخر أن يقترضوا نقوداً من هيوى ، وبضع أميرات منحرفات كل همهن أن يظهرن

معى فى المسرح أو فى الحفلات . ثم بدأ هيوى يحن إلى حياته السابقة . كان يريد أن يسافر للصيد فى الأدغال، ولكننى لم أدعه يذهب ، إذ كنت أخشى أنه إذا ذهب فلن يعود .

البزابث : ولكنك كنت تعلمين أنه يحبك !

ليدى كيتى : أوه يا عزيزتى . إنك لا تدركين أهمية الزواج لنا نحن النساء ، يا له من حصن أمين نلجأ إليه نحن السيدات ! وإن الجاهلات الغبيات منا هن اللاتى يحاولن العبث برباط الزوجية المقدس . إن الكنيسة كانت ولا تزال بعيدة النظر وفى منتهى الحكمة لإصرارها على موقفها من الزواج، وإنه رباط لا ينحل ولا ينـ . . .

البزابث : ولا ينفصم .

ليدى كيتى : صدقينى يا البزابث ، إنه ليس بالأمر السهل أن تعتمدى على نفسك فقط للاحتفاظ بالرجل الذى تحبينه ، إننى شخصياً لا أستطيع المجازفة بأن أبدو متقدمة فى السن ، وها أنا أبوح لك بسر لا يعرفه أحد غيرك من الناس أجمعين .

اليزابث : وما هو هذا السر ؟
ليدى كيتى : أترين لون شعرى ؟ ليس هذا لونه الطبيعى ؟
اليزابث : أصحيح هذا ؟
ليدى كيتى : إننى أصبغه . إنك قطعاً لم تلحظى ذلك ؟
اليزابث : لم ألحظ ذلك قط .
ليدى كيتى : ولم يلحظه أحد . لقد شاب قبل الأوان بالطبع ، ولكنه أبيض يا عزيزتى . إننى لأعتبر ما حدث لشعرى رمزاً لما طرأ على حياتى . . أتهتمين بالرمزية يا عزيزتى ؟ . إنها مدهشة جداً .
اليزابث : لا أعرف أى شىء عن الرمزية . .
ليدى كيتى : لقد كان من واجبى أن أبدو مرحة نشطة مهما استبد بى التعب . لم أعط الفرصة لهيوى حتى يرى حزنى الدفين وقلبى الجريح الدامى ، فقد كنت أخفى ذلك عنه باستمرار وراء عينى الباسمتين ، وخلف نظراتى المشرقة .
اليزابث : [باستغراب وتأثر] يا لك من غريرة مسكينة !
ليدى كيتى : وعند ما كنت أرى أن غيرى من النساء قد استلفت نظره ، واستولى على قلبه ،

فيا للخوف الذى كان يعترينى ، والغيرة التى تنهش فؤادى ! ولم أكن أجرؤ بالرغم من ذلك على أن أثور فى وجهه كما تفعل كل زوجة لأنى لم أكن متزوجة ، وكنت أضطر مرغمة مكرهة على التظاهر بأنى لم ألحظ شيئاً .

البزابث : [مندهشة] أتريدين أن تقولى إن هيوى وقع فى حب غيرك من النساء ؟

ليدى كيتى : طبعاً لقد أحب أكثر من مرة !

البزابث : [لا تكاد تعرف ما تقول] لقد كنت بائسة تعسة حقاً .

ليدى كيتى : أجل . لقد كنت فى منتهى التعاسة . وكم قضيت الليلة تلو الليلة ، وقد اختلطت عبرات عينى بدموع قلبى عند ما كان يخبرنى هيوى أنه سيذهب إلى النادى ليلعب الورق ؛ لأنى كنت أعلم أنه سيذهب ليمضى وقته مع امرأة ساقطة . لم يكن شقائى هذا لقلة وجود غيره من الرجال الذين يتلهفون على أن يؤنسوا وحشتى ، ويعملوا على تسليتى ، فقد كنت دائماً موضع إعجابهم ومحط أنظارهم كما تعلمين .

البزابث : أدرك ذلك تماماً .

ليدى كيتى : ولكن كان على أن أحترم نفسى ، ومهما ارتكب هيوى فى حقى من خيانات فلم أكن أسمح لنفسى بارتكاب أى عمل قد أندم عليه فى المستقبل .

البزابث : لعلك سعيدة الآن لاتخاذك مثل هذا المسلك الحكيم .

ليدى كيتى : إنى سعيدة فعلا . وعلى الرغم مما تعرضت له من تجارب فلا زلت مخلصة إخلاصاً تاماً بالفكر والروح لهيوى .

البزابث : إنى لا أدرك تماماً معنى ما تقولين !

ليدى كيتى : حسناً . لقد حدث مرة أن شاباً إيطالياً مسكيناً ، هو الكونت كاستل جيوفانى ، أحبنى إلى درجة الجنون ، وقد تولاه اليأس واستبد به الهوى ، حتى إن أمه توسلت إلى ألا أقسو عليه . لقد كانت تخاف عليه من الضنى والنحول والموت . . كيف أتصرف فى مثل هذه الظروف ؟ ومرة أخرى ، وبعد سنين عديدة ، جاءنى شاب آخر هو أنطونيو مليتا ، وأقسم لى إنه سيضرب نفسه بالرصاص إذا لم أقبل أن

.... وأظنك توافقينى على أنه لم يكن ممكناً أن أترك الشاب المسكين يطلق الرصاص على نفسه .

البزابث : أتظنين أنه كان سيطلق على نفسه الرصاص فعلا ؟

ليدى كيتى : أوه . لا يمكن لأحد أن يتأكد مما كان قد يحدث . وإن هؤلاء الإيطاليين سريعو الانفعال مشبوبو العاطفة . لقد كان حملا وديعاً كما كانت عيناه فى منتهى السحر والجمال .

[تطيل إليزابث النظر إليها ، ثم يتملكها الخوف من هذه العجوز الدنسة المتصابية]

اليزابث : [فى صوت مبحوح] إن ذلك مرعب مخيف !

ليدى كيتى : هل أدهشك ذلك ؟ إن الإنسان ليضحى بحياته من أجل الحب ، ثم يكتشف بعد ذلك أن الحب لا يدوم . إن مأساة الحب ليست فى الموت أو فى الانفصال ، ففى إمكان الإنسان أن يتغلب عليهما ، وإنما مأساته الحقيقية فى انعدام الاهتمام وقلة الاكتراث

[يدخل أرنولد]

أرنولد : هل يمكننى أن أتحدث إليك قليلا يا اليزابث؟

البزابث : طبعاً .

أرنولد : أتفضلين أن نخرج معاً للتنزه فى الحديقة ؟

البزابث : كما تحب .

ليدي كيتي : كلا ! ابقيا هنا . فأنا خارجة على كل حال

[تخرج ليدى كيتى]

أرنولد : أرجو أن تستمعى إلى بعض الوقت يا اليزابث لقد صدمت بما قلتيه لى الآن صدمة أفقدتنى صوابى . لقد كنت سخيفاً معك ، فأرجوك الصفح ، لقد قلت لك كلاماً أنا نادم عليه .

البزابث : لا تلم نفسك . إنى لأشعر بالأسف لأننى أنا التى هيأت لك الدافع لقوله .

أرنولد : أريد أن أسألك هل عقدت العزم نهائياً على الذهاب معه ؟

البزابث : أجل .

أرنولد : يخيل إلى أننى حتى الآن قد قلت لك كل ما لم أكن أريد أن أقوله ، بينما لم أخبرك بشيء مما أريد . إننى عَيِيٌّ معقود اللسان كما تعرفين ، ولعل هذا هو السبب الذى من أجله لم أعبر لك عن عميق حبي لك ، وشديد غرامى بك .

اليزابث : أواه يا أرنولد !

أرنولد : دعيني أتكلم الآن ، ولا تقاطعيني فإن الموقف صعب جداً علي . وإذا كنت قد أوليت السياسة وتنسيق البيت كل وقتي وتفكيري حتى صرفني ذلك عن الاهتمام بك ، فإني آسف جداً . لقد كان جهلا مني أن أفكر بأنك ستعتبرين حبي العظيم لك قضية مسلما بها .

اليزابث : ولكني يا أرنولد ، لا ألومك على ذلك .

أرنولد : إني ألوم نفسي فقد كنت سيئ التصرف مهملا ؛ وكل ما أطلبه منك أن تتأكدي من أن ذلك لم يكن مبعثه قلة حبي لك ، أو فتور غرامي بك ، ولهذا هل لي أن أسألك الصفح والمغفرة إذا كان ذلك ممكناً ؟

اليزابث : لا أظن أن هناك ما يتطلب مني الصفح أو الغفران .

أرنولد : لم أكن أدرك عظم حبي لك وشدة هيامي بك إلا اليوم ، عند ما تحدثت إلي بخصوص رغبتك في الرحيل عني .

اليزابث : بعد ثلاث سنين يا أرنولد ؟

أرنولد : كم أنا فخور بك يا اليزابث وشديد الإعجاب بشخصك ، وعند ما أراك فى حفلة من الحفـــلات جميلة نضرة فتنة للناس وبهجة للناظرين ، يأخذنى الزهو ، ويستخفنى الفرح ؛ لأنك لى، ولى أنا فقط دون الناس أجمعين .

اليزابث : إنك تبالغ كثيراً يا أرنولد .

أرنولد : لا يمكننى تصور هذا البيت بدونك . ستبدو الحياة بعدك تافهة فارغة لا معنى لها ولا طعم ،أواه يا اليزابث ألا تحسين نحوى بأى حب ؟

اليزابث : من الأفضل أن أكون أمينة معك . للأسف لا .

أرنولد : وحبى الشديد لك ، أليست له أية قيمة عندك ؟

اليزابث : إنى لأشكر لك جداً هذا الفضل ، وأعتذر عما أسببه لك من ألم ، ولكن ما فائدة بقائى معك إذا كنت سأظل طول الوقت شقية تعسة ؟

أرنولد : هل تحبين هذا الرجل إلى ذلك الحد ؟

وتعاستى وشقائى ! ألا يعنيك من أمرى شيئاً ؟

البزابث : إن أمرك يهمنى جداً . ويحزننى جداً أن أراك تعساً ، ولكننى لم أكن أعلم أنك تهتم بى إلى هذه الدرجة . إنى آسفة لذلك كل الأسف يا أرنولد ، وفى شدة التأثر من أجلك ، ولكنى عاجزة عن أن أمنع نفسى ، وما قدر يكون .

أرنولد : يا للطفلة المسكينة إنها لقسوة منى أن أعذبك معى .

اليزابث : صدقنى يا أرنولد ، لقد حاولت جهدى وبذلت غاية ما فى وسعى لكى أشعر بالحب نحوك فلم أستطع . المسألة هى إما أن يحب الإنسان أولا يحب ، ولن تجديه محاولة الحب نفعاً ، ولقد وصلت الآن إلى نهاية المطاف ، ولم يعد فى قوس صبرى منزع . سأفعل ما يحن إليه كل كيانى وسأتحمل وحدى نتائج ذلك كائنة ما تكون .

أرنولد : يا طفلتى المسكينة أخاف عليك ألا تسعدى ، ولكم أخشى أن تندمى على ما تفعلين !

البزابث : أرجوك أن تتركني لمصيرى ، وأن تحاول أن تنسانى ، وأن تنسى التعاسة التى سببتها لك .

أرنولد : [تسود فترة من السكوت . يروح أرنولد ويغدو فى الحجرة ساهيا مفكرا . يفيق ويواجهها]ما دمت تحبين هذا الرجل وترغبين فى الذهاب معه فلن أحاول منعك من ذلك،وإن أمنيتى الوحيدة هى أن تعملى ما فيه مصلحتك .

البزابث : هذا جميل منك جداً يا أرنولد وإذا كنت لم أحسن معاملتك فإنى أريد منك على الأقل أن تتأكد من أنى شاكرة لك كل هذا العطف على ، وذلك الاهتمام بى .

أرنولد : بقيت خدمة واحدة أخرى أتوسل إليك أن تؤديها لى . فهل تسمحين ؟

البزابث : بكل تأكيد يا أرنولد . إنى على استعداد لعمل كل ما أقدر عليه .

أرنولد : ليس تدى بالرجل الغنى ،ولقد تعودت أنت حياة الترف والنعيم ، ولن أرضى لك أن تحرمى نفسك من شيء مما كنت تتمتعين به . إن مجرد التفكير فى أنك ستقاسين من

المتاعب أو الحرمان يقتلنى قتلا .

البزابث : ولكن تدى سيكسب من المال ما يسد احتياجاتنا ، ومع كل فلن نحتاج إلى مال كثير .

أرنولد : لم تكن حياة أمى مع پورتيوس سهلة أو هينة وأعتقد أن كل الذى جعلها محتملة هو أن پورتيوس رجل غنى . لهذا أرجوك أن تسمحى لى بأن أفتح لك باسمك فى البنك حساباً قدره ألفان من الجنيهات سنوياً .

البزابث : كلا ! كلا ! لا يمكنى التفكير فى ذلك . إن هذا محال .

أرنولد : أرجوك أن تقبلى منى هذا المبلغ البسيط . أنت لا تدركين ما لهذا الأمر من أهمية .

البزابث : أشكر لك هــذا العطف من كل قلبي يا أرنولد . إن مجرد التحدث عن ذلك يذل كبريائى ويسحق عزة نفسى . لا شىء فى الوجود يمكن أن يقنعنى بقبول بنس واحد منك .

أرنولد : على أية حال ليس فى إمكانك أن تمنعينى من أن أفتح فى البنك حساباً باسمك . ستكون

النقود جاهزة للدفع تحت إذنك ، وطلبك كل ثلاثة شهور ، وسواء طلبتها أو لم تطلبيها فستظل مودعة باسمك لحين حاجتك إليها

اليزابث : إنك تغمرني بفضلك يا أرنولد ، ولكني لا أطلب منك إلا خدمة واحدة وحيدة أرجو أن تقوم بها من أجلي . سأكون شاكرة لك جميلك لو تفضلت فطلبت الطلاق مني في أول فرصة ممكنة .

أرنولد : كلا ! لن أفعل ذلك . ولكني سأهيئ لك أنت الفرصة لكي تطلبي طلاقي .

اليزابث : أنت !

أرنولد : أجل ، ولكن عليك أن تكوني حريصة جداً لفترة ما . إني سأنفذ هذه الخطة بكل سرعة ممكنة ولكني أخشى ، رغم ذلك ، ألا تتمكني من الحصول على الطلاق واسترداد حريتك قبل مرور ستة شهور .

اليزابث : ولكن مقعدك في مجلس العموم يا أرنولد ! ومستقبلك السياسي ؟

أرنولد : أوه لا يهمك هذا . لقد استقال والدي من مجلس العموم في ظروف مشابهة وها هو

يحيا حياة هانئة جداً بعيداً عن السياسة .

اليزابث : ولكن السياسة بالنسبة لك هى الحياة كلها .

أرنولد : ومع كل فلن يقدر الإنسان على تحقيق كل أمانيه . ومن أراد أن يقوم بعمل نبيل فعليه أن يعد نفسه للتضحية فى سبيله .

اليزابث : ولكنى لا أريد منك أن تقاسى من أجل ذلك !

أرنولد : لقد ترددت أول الأمر فى مواجهة الفضيحة ولكن هذا كان ضعفاً منى . . ولو أنى كنت أحب فى مثل هذه الظروف أن أتجنب الدخول فى محكمة الطلاق إن أمكن ذلك .

اليزابث : إنك تجعلنى فى منتهى التعاسة والشقاء يا أرنولد !

أرنولد : إن ما قلتيه لى قبل العشاء كان هو الصواب فليس الأمر بذى أهمية للرجل ؛ ولكنه كل شيء فى حياة المرأة ، ومن الطبيعى أن يكون واجبى هو التفكير فيك أولا .

اليزابث : هذا سخف . هذا محال . فإذا كان هناك بد من التضحية فلأكن أنا التى أضحى ، وأنا التى أدفع الثمن ولست أنت !

أرنولد : إنى لا أطلب منك شيئاً كثيراً يا اليزابث !

اليزابث : أنا التى تطلب منك كل شيء ، وتريد حرمانك من كل ما عندك .

أرنولد : إن ما أطلبه هو الشرط الوحيد الذى أشترطه . إننى مصمم عليه كل التصميم . لن أطلقك أبداً، وإنما سأمكنك من أن تطلقينى .

اليزابث : أواه يا أرنولد . من القسوة أن تكون بهذا الكرم معى .

أرنولد : ليس هذا كرماً . إنها الوسيلة الوحيدة التى يمكننى بها أن أظهر لك مبلغ ما أحسه نحوك من حب عميق ، وإخلاص شديد ، وعاطفة صادقة . [يسود الصمت ، يمد يده إليها] طابت ليلتك . إن لدى عملا كثيراً يجب أن أنجزه قبل أن أنام .

اليزابث : طابت ليلتك .

أرنولد : ألديك مانع من أن أقبلك يا اليزابث ؟

اليزابث : [متألمة] أوه يا أرنولد !

[يقبلها فى رزانة فوق جبينها ثم ينصرف . تقف اليزابث ساهمة شاردة الفكر . تبدو تعبة محطمة . تدخل ليدى كيتى وپورتيوس . ليدى كيتى ترتدى معطفا]

ليدى كيتى : هل أنت بمفردك يا اليزابث ؟

اليزابث : تلك الرسالة التى سألتنى عنها . يا ليدى

كيتى ، التى أرسلها إلى تدى ... ...

ليدى كيتى : نعم ؟

اليزابث : إنه يريد أن يتحدث معى قليلا قبل أن يرحل من هنا . إنه ينتظرنى عند المشتل بالقرب من ملعب التنس ، هل يتفضل اللورد پورتيوس بالذهاب إليه ليطلب منه الحضور إلى هنا ؟

پورتيوس : بكل تأكيد . بكل تأكيد .

اليزابث : لا تؤاخذنى لإزعاجك . إن الأمر هام خطير .

پورتيوس : لا إزعاج بالمرة .

ليدى كيتى : سنترككما معاً ، وننصرف هيوى وأنا .

اليزابث : ولكنى لا أريد أن أكون وحدى معه . أرجوك البقاء هنا .

ليدى كيتى : وماذا تزمعين أن تقولى له ؟

اليزابث : [يائسة] بربك لا توجهى إلى أية أسئلة، إنى فى غاية التعاسة .

ليدى كيتى : يا لك من مسكينة يا ابنتى !

اليزابث : أليست هذه الحياة فاسدة حقيرة ؟ لم لا يستطيع الإنسان فيها أن يسعد دون أن

تسبب سعادته الشقاء والتعاسة للآخرين ؟

ليدى كيتى : كم أتمنى لو أعلم كيف أمد لك يد المساعدة إنى فى منتهى الإخلاص لك [تبحث فى عقلها عن شىء تقوله أو تفعله] أتحبين أن تستعملى صابع الشفاه الخاص بى ؟

اليزابث : [باسمة من خلال دموعها] أشكرك . إنى لم أستعمله أبداً فى حياتى .

ليدى كيتى : حاولى الآن . إنه يساعد على تهدئة أعصابك عند ما تكونين فى محنة .

[يدخل پورتيوس وتدى]

پورتيوس : لقد أحضرته معى بعد أن كان يقسم أنه لن يحضر .

ليدى كيتى : حتى بعد أن علم أن سيدة هى التى تطلبه للحضور ؟ أهذه هى تصرفات الشباب فى هذه الأيام ؟

تدى : عند ما يطرد الإنسان بكل تحقير من بيت ما مرة فمن التطفل والوقاحة أن يقبل الرجوع إليه ثانية وكأن شيئاً لم يحدث .

اليزابث : تدى . أريد منك أن تكون جاداً فى حديثك فليس هذا وقت المزاح والهزل .

تدى : يا عزيزتى ، لقد تناولت عشاء فاسداً قذراً فى ذلك الفندق الملعون ، وإذا كنت تطلبين منى أن أكون جاداً رغم ذلك فسأضطر للصراخ والعويل .

البزابث : لا تكن أحمق يا تدى [تهتز نبرات صوتها] كم أنا شقية تعسة !

[ينظر إليها واجما]

تدى : ما الذى حدث ؟

البزابث : لن أستطيع السفر معلك يا تدى !

تدى : ولم لا ؟

البزابث : [فى ارتباك] لأنى لا أحبك الحب الكافى .

تدى : أنت تخرفين .

البزابث : [غاضبة] لا تقل ذلك لى .

تدى : سأقول لك كل ما أحب وأريد . .

البزابث : أنا لا أقبل منك أى تهديد أو إرغام .

تدى : اصغى إلى يا البزابث ، إنك تدركين تماماً إنى أحبك كما أنى واثق من حبك لى ، ولا أدرى لماذا تتحدثين بكل هذا الكلام الفارغ الذى لا معنى له ؟

البزابث : [فى صوت متهدج] لن أستطيع الإجابة مادمت غاضباً منى .

تدى : [مبتسما فى حنان] لست غاضباً منك أيتها الحمقاء .

الزابث : سيصبح الكلام أكثر صعوبة علىّ ما دمت تنعق فى وجهى هكذا مثل البومة .

تدى : [مقهقها] هل أنا مخطئ فى تفكيرى . إنه ليس من السهل على أن أرضيك ؟

الزابث : ولكن هذا مخيف . كنت قد حزمت أمرى وكنت على استعداد لمواجهة الموقف ؛ ولكنك بتصرفك هذا قد أفسدت على خطتى إننى أشعر كالمنطاد الكبير المنتفخ وقد وخزه أحد الناس فجأة بدبوس طويل . [ثم تحدجه بنظرة مفاجئة] هل فعلت ذلك عامداً ؟

تدى : أقسم لك بحياتى أنى لا أفهم عم تتحدثين ؟

الزابث : يخيل إلى أنك أكثر ذكاء مما كنت أظن .

تدى : [ممسكا بيديها مساعداً لها على الجلوس] والآن خبرينى بالضبط ماذا تريدين أن تقولى ؟ وبالمناسبة أتحبين أن تظل هنا الليدى كيتى واللورد پورتيوس ؟

الزابث : أجل .

ليدى كيتى : لقد طلبت منا إليزابث أن نبقى .

تدى : لا اعتراض لى على ذلك إطلاقاً وليبارككما الله، وإنما خشيت أن ينتابكما الشعور بأن وجودكما غير مرغوب فيه .

ليدى كيتى : [ببرود] إن السيدة المهذبة لا تنتظر حتى ينتابها مثل هذا الشعور يا مستر لوتن .

تدى : لم لا تدعوننى تدى ؟ الجميع ينادوننى بهذا الاسم .

[تحاول ليدى كيتى أن تنظر إليه شذراً ولكنها لا تملك منع نفسها عن الابتسام . يربت تدى على يدى إليزابث فتسحبها بعيداً عنه]

إليزابث : كلا . لا تفعل ذلك . إنى لم أكن صادقة عند ما قلت لك إنى لا أحبك . بالطبع أحبك ؛ ولكن أرنولد يحبنى أيضاً . ولم أكن أعلم أنه يحبنى بهذا القدر العظيم .

تدى : ما الذى قاله لك ؟

إليزابث : لقد كان كريماً معى شديد العطف على . لم أكن أدرك أنه طيب عطوف بهذه الدرجة . لقد تفضل مشكوراً بالسماح لى بطلب الطلاق منه .

تدى : إن ذلك منه منتهى اللطف وحسن الخلق .

إليزابث : ألست ترى أن هذا الأدب منه يغل يدى ؟

كيف يتسنى لى قبول مثل هذه التضحية منه ؟ لن أغفر لنفسى أبداً، إذا أنا قبلت الاستفادة من نبله واستغلال كرم أخلاقه .

تدى : إذا كنت أنا ورجل آخر وقد استبد بنا الجوع وليس أمامنا إلا قطعة واحدة من اللحم وقال لى : كلها فلن أضيع وقتى فى الجدل بل سألتهمها قبل أن يغير رأيه .

البزابث : لا تتكلم بهذه اللهجة، لأن ذلك يكاد يذهب بعقلى إنى أحاول أن أتصرف التصرف اللائق ، وأن أسلك الطريق الصحيح .

تدى : إنك لا تحبين أرنولد ، ولكنك تحبيننى أنا ، ومن الحماقة أن تضحى بحياتك من أجل عطف سخيف .

البزابث : لقد تزوجته على أية حال .

تدى : حسناً لقد أخطأت . إن زواجاً بغير حب ليس بزواج على الإطلاق .

البزابث : إننى أنا التى أخطـأت فلماذا يقاسى هو نتيجة لخطئى ؟ إذا كان من الضرورى أن يقاسى شخص من جراء هذه الغلطة فمن العدل أن أكون أنا ذلك الشخص .

تدى : أى نوع من الحياة تنتظرين أن تعيشيها معه ؟ إذا تزوج شخصان فمن الصعوبة بمكان على الواحد منهما ألا يكون سعيداً فى زواجه دون أن يسبب الشقاء والتعاسة للطرف الآخر .

البزابث : لن أقبل أن أستغل كرمه .

تدى : يمكننى القول إنه شخصياً سيستفيد كثيراً من هذا الكرم .

اليزابث : إنك فظ شرس يا تدى . لقد كان فى منتهى الروعة . لم أكن أعرف أنه يتحلى بكل هذه الفضائل . لقد كان نبيلا حقاً .

تدى : إنك تهرفين بما لا تعرفين يا اليزابث .

اليزابث : إنى لأعجب هل فى مقدورك أنت ؛ أن تتصرف مثله ؟

تدى : أى تصرف تقصدين ؟

اليزابث : ماذا تفعل لو كنت أنا متزوجة منك وجئتك ذات يوم لأقول لك إنى أحب شخصاً سواك وأريد أن أتركك ؟

تدى : إن لك عينين زرقاوين جميلتين جداً يا اليزابث . سأبدأ بتسديد لكمة إلى عين

منهما وطبيعي ستسود ، ثم أسود لك الثانية بنفس الطريقة ، وبعد ذلك أفكر فيما يجب عمله .

اليزابث : أيها الوحش اللعين !

تدى : كثيراً ما فكرت فى أننى لست بالرجل المهذب . ألم تستنتجي دلك بنفسك ؟

[ينظر الواحد منهما للآخر لفترة من الوقت]

اليزابث : ها أنت ترى يا تدى أناك تستغل موقفى استغلالا ظالماً غير مشروع . إنى أشعر وكأننى جئت إليك آمنة مطمئنة لا أتوجس شراً حتى إذا ما أدرت وجهى ضربتنى فى قصبة رجلى .

تدى : ألا تعتقدين أننا سنوفق فى حياتنا معاً ؟

پورتيوس : ستكونين حمقاء يا اليزابث ، إن لم تتمسكى بزوجك . إن ما أنتما مقدمان عليه أمر مشين بالنسبة للرجل ؛ ولكنه بالنسبة للمرأة أمر فيه القضاء عليها . إننى لا أدافع عن أرنولد فهو لا يجيد لعب البريدج،ورغم وجودك يا كيتى ، فإنى أقول إنه متعجرف و . . .

ليدى كيتى : يا له من مسكين ! لقد كان والده كذلك

وهو فى مثل سنه ولكنه سيشفى من هذا النقص فى الوقت المناسب .

پورتيوس : ابقـي بجانب أرنولد يا اليزابث وتمسكى به . فالإنسان حيوان اجتماعى ، وكلنا أفراد فى قطيع . ولسوف نتعب ونشقى إذا خرجنا على نظام القطيع وكسرنا قوانينه . سنعانى من ذلك بقسوة مريرة .

ليدى كيتى : اليزابث ! يا ابنتى العزيزة لا تذهبى ، الأمر لا يستوجب هذه التضحية الكبيرة . لا يستوجبها إطلاقاً . . . إنى أقول لك ذلك عن خبرة وتجربة فقد ضحيت بكل شىء من أجل الحب .

[فترة صمت]

اليزابث : إنى خائفة !

تدى : [هامساً] اليزابث !

اليزابث : لا أقدر على مواجهة الموقف . إن ذلك فوق طاقتى . دعنا نودع أحدنا الآخر يا تدى . إن هذا هو الشىء الوحيد الذى يجب علينا عمله . كن رحيما فى حكمك على لقد فقدت كل أمل فى السعادة .

[يذهب تدى إليها ثم يطيل النظر فى عينيها]

تدى : ولكنى لم أعدك بأى سعادة معى . لأنى لا أظن أن حباً من نوع حبى سيحقق لك أى قسط من السعادة . إنى شديد الغيرة وليس من السهل إرضائى .. كثيراً ما أفقد أعصابى وأحتد وأثور . سوف أتضايق منك يوماً ما وكذلك ستتضايقين منى ، سنتخانق ونتضارب مثل الكلب والقط ، وسيكره أحدنا الآخر بعض الأحيان، وكثيراً ما ستشعرين بالتعاسة والضجر والوحدة ، وسيعذبك الحنين المضنى إلى الوطن وعند ذلك ستندمين على ما فعلت وستشعرين بعظم ما فقدت ، سيعاملك بعض النسوة هناك بخشونة وفظاظة لأنك هربت معى ، وستقاطعك أخريات ، إنى لا أقدم لك الهدوء والسلام ، بل التعب والضنى والقلق . إنى لا أعدك بالسعادة ولكنى أعدك بشىء واحد وهو الحب .

البزابث : [مادة نحوه ذراعيها] أيها المخلوق الكريه إنى أعبدك .

[يأخذها بين ذراعيه ويقبل شفتيها بكل عاطفته]

ليدي كيتى : بالطبع منذ اللحظة التى قال لها فيها سأضربك

على عينك حتى يسود لونها أدركت أنه ظفر بها .

پورتيوس : [مداعباً] يا لك من غبية حمقاء يا كيتى .

ليدى كيتى : أعلم ذلك؛ولكن لا حيلة لى فى هذا الأمر .

تدى : فلنهرب الآن معاً .

البزابث : أحقيقة هذا ؟

تدى : أجل . وفى التو واللحظة !

پورتيوس : يا لكما من أحمقين ! كلا كما أحمق معتوه . لكما أن تستخدما سيارتى إن أردتما .

تدى : هذا فضل منك يا سيدى . لقد أخرجتها فى الواقع من «الجاراج» منذ لحظة،ووضعتها فى أول الطريق .

پورتيوس : [بغضب وقد لحقته الإهانة] ماذا تعنى بقولك أخرجت العربة من « الجاراج » .

تدى : حسناً لقد كنت أتوقع يا سيدى،الكثير من المتاعب، ورأيت أن أفضل ما يمكن عمله هو أن أجنب البزابث ما قد تواجهه من إحراج وارتباك ، وذلك بأخذها بعيداً عن هنا بأى وسيلة ممكنة ، ولعلك تعلم أن أحسن شعار لرجل الأعمال هو : « افعل ذلك الآن » .

پورتيوس : أتريد أن تقول إنه كان فى نيتك سرقة سيارتى ؟

تدى : ليس ذلك تماماً ، وإنما كنت أنوى « بلشفتها » كما يقولون !

پورتيوس : إننى أرفع من أن أرد عليك . سأصمت تماماً ولن أفتح فى .

تدى : يا للعنة — هل كنت أستطيع حمل البزابث طول الطريق إلى لندن ! إنها ممتلئة البدن كما ترى .

اليزابث : أيها الكلب .

پورتيوس : [بغضب] ولكن . ولكن . ولكن أسقط فى يدى ، إنى أحبه يا كيتى . لا فائدة من التظاهر بأنى لا أحبه . أجل إنى أحبه ..

تدى : إن الليلة مقمرة يا اليزابث ، وسنسافر بالسيارة طوال الليل .

پورتيوس : أفضل لكما أن تذهبا إلى سان ميشيل . سأبرق إليهم ليعدوا لكما كل شىء ..

ليدى كيتى : إنه نفس المكان الذى ذهبنا إليه هيوى وأنا عند ما . . . [يتكسر صوتها] أيها الصغار الأعزاء كم أحسدكما .

پورتيوس : [ماسحاً عينيه] لا تبكى يا كيتى ! لعنة الله

عليك ؟ بربك لا تبكى !

تدى : هيا بنا يا حبيبتى .

اليزابث : لا أستطيع السفر هكذا .

تدى : ما هذا العبث ! إن الليدى كيتى ستعطيك معطفها . أليس كذلك ؟

ليدى كيتى : [خالعة عنها معطفها] لا أستبعد عليك أن تنزعه بالقوة عنى إن لم أعيرها إياه .

تدى : [يساعد إليزابث على إرتداء المعطف] وسأشترى لك فرشاة أسنان من لندن فى الصباح .

ليدى كيتى : يجب أن تكتب رسالة لأرنولد . سأضعها بنفسى على وسادة الدبابيس .

تدى : إلى الجحيم بوسادة الدبابيس ! هلم بنا يا حبيبتى سنسوق العربة خلال الليل والفجر وشروق الشمس .

اليزابث : [تقبل ليدى كيتى ولورد پورتيوس] وداعاً. وداعاً [يمد تدى يده وتمسك بها . ويخرجان معاً ويد كل منهما فى يد الآخر حتى يختفيا فى ظلام الليل]

ليدى كيتى : أواه يا هيوى ! لقد عادت إلى الذكرى واضحة جلية . هل سيقاسون كل ما قاسيناه؟ وهل ذهب كل ما قاسينا من أجله أدراج الرياح ؟

پورتيوس : يا عزيزتى ، ليس المهم فى الحياة هو ما يفعل الإنسان إنما المهم هو مكنون ذاته وشخصه ، وقلما يستفيد شخص من تجارب غيره لأن ظروف كل فرد تختلف عن ظروف الآخر . وإذا كنا قد عالجنا الأمور بشىء من عدم الكياسة فقد يكون مرجع ذلك لطيش منا أو نقص فينا . إن الإنسان ليستطيع القيام بأى عمل فى هذا العالم ما دام مستعداً لتحمل النتائج ، والنتائج ذاتها تعتمد على جوهر النفس وصفاتها .

[يدخل كلايف تشامبيون تشينى وهو يفرك يديه. إنه فى منتهى السرور]

كلايف : حسناً ، أظن أننى قد قضيت على فكرة هذا الشاب الطائشة قضاء مبرماً .

ليدى كيتى : أوه ؟

كلايف : على من يريد أن يتغلب على خادمك المطيع أن يصحو من نومه فى الصباح الباكر جداً !

[يسمع صوت محرك سيارة تبدأ فى السير]

ليدى كيتى : ما هذا ؟

كلايف : يخيل إلى أنه صوت سيارة . لعل سائق

سيارتك قد أخذ إحدى الخادمات للنزهة والترفيه !

پورتيوس : ما هذه الفكرة الطائشة التى تتكلم عنها . . فكرة من ؟

كلايف : فكرة مستر ادوارد لوتن ياعزيزى هيوى ! لقد أخبرت أرنولد عما يجب عليه عمله تماماً ، وقد نفذ كل ما قلته له . ما الذى يصنع السجن ؟ إنها الأقفال والقضبان . انزعها وألق بها بعيداً ، وبعدها لا يجد السجين لديه أية رغبة فى الهروب . أليست هذه مهارة منى ؟ إنى لأكيل المدح والثناء لنفسى .

پورتيوس : لقد كنت دائماً ذكياً واضحاً صريحاً يا كلايف، ولكنك فى هذه اللحظة يكتنفك الغموض .

كلايف : لقد أوصيت أرنولد أن يذهب إلى الزابث ويقول لها إن فى إمكانها أن تحصل على حريتها . قلت له أن يظهر لها استعداده للتضحية بنفسه على طول الخط . إنى أعرف نفسية السيدات تمام المعرفة . ففى اللحظة التى تزول فيها كل عقبة فى طريق زواجها

من تدى لوتن يفقد هذا الزواج معظم إغرائه

ليدى كيتى : وهل فعل أرنولد ذلك ؟

كلايف : لقد اتبع تعليماتى حرفياً . لقد قابلته الآن وعلمت منه أنها فى غاية الارتباك . إنى مستعد أن أراهن بخمسمائة جنيه ضد بنس واحد على أنها لن تهرب . إنى عجوز ناصح حكيم . . أه ! ناصح حكيم جداً . هه . . . ! !

[يبدأ فى الضحك . فتضحك ليدى كيتى ولورد پورتيوس أيضاً . ثم يضحك الثلاثة معاً ضحكاً عالياً]

« ينزل الستار »

روائع

المسرح العالمى

سلسلة مسرحيات عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة من المترجمين والمراجعين مع دراسة عميقة لاتجاه كل كاتب

ملتزم النشر والتوزيع الشركة التعاونية للطباعة والنشر ١٤ ش عماد الدين

يطلب من

مكتبة المثنى - بغداد * مكتبة الخانجى - القاهرة

الثمن ١٠ قروش

مطبعة كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع دقف ... - ... ٥٤١١٨